وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جـــامعة أحمد دراية أدرار

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم العلوم الاسلامية

عمر راسم و دوره الإصلاحي مطلع القرن العشرين 1884-1959م

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص تاريخ معاصر

من اعداد الطالبتين :

- حليمة ناجم.
- عولية بن علي.

شراف الاستاذ :

- بن سويسي محمد

لجنة المناقشة :

د.سالم بوتدارة	رئيسيا
د.بن سويسي محمد	مشرفا و مقررا
د.كمون عبد السلام	ممتحنا

السنة الجامعية : 2019م/ 2020م -1441هـ/1442هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـداء

أحمد الله عزوجل وأشكره الذي أنارلي طريق العلم،

و منحني القدرة و الصبرو وفقني في انجازهذا العمل المتواضع

الذي دفعني لطلب العلم و الدفاع عن الفضيلة،

إلى والدي الذي يحثني على طلب العلم،

إلى والدتي التي تألمت قبل تألمي، وفرحت قبل فرحي

و حلمت دون أن أكون أولى المر اتب، وعلمتني و هيا لا تقرأ و لا تكتب إليكي

يا أمي الحبيبة.

إلى إخوتي وأخو اتي الأعزاء و إلى كل أفراد أسرتي من كبيرها إلى صغيرها، و

إلى الزملاء و الأصدقاء التي عرفتهم خلال دراستي

إلى أستاذي المشرف محمد بن سويسي على كل ما قدمه لي من نصح و إرشاد

إلى كل صديقاتي الذي رفقاني ذرب العلم .

إلى زميلتي في العمل بن علي عولية.□

حليمة

إهـداء

حليمة

الحمد الله رب العالمين و الصلاة و السلام على خاتم الأنبياء و المرسلين، ها أنا اليوم و الحمد الله أطوي هذا العمل المتواضع أهديه إلى

من ربتني و أعنتني بالصلوات و الدعوات و الينبوع الذي لا يمل العطاء إلى من حكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها إلى أغلى إنسان في الوجود إلى أمي الحبيبة.

من سعى و شقى لأنعم بالراحة و الهناء الذي لم يبخل عليا بشئ من أجل دفعي إلى طريق النجاح الذي علمني أن أرتقي سلم الحياة بحكمة و صبر أطال الله في عمره إلى أبي العزيز

إلى من حبهم يجري في عروقي و ينهج بذكراهم فؤادي

إلى إخوتي و أخي.

إلى من سرنا سوياً ونحن نشقى الطريق معاً، نحو النجاح و الإبداع،

إلى من تكفلنا يد بيد ونحن نقطف زهرة التعلم

إلى صديقاتي و زميلاتي "ناجم حليمة، غزوي فتيحة، بن علي أميرة".

عولية

شكر و عرفان

نحمد الله و نشكره ما من به علينا من نعمة العقل و الصبر نتوجه بأسمى معاني التقدير و الامتنان إلى :

الأساتذة الفاضلة و المشرف لدراستنا.

بن سويسي محمد الذي كان سنداً و عوناً لنا من خلال إرشاداته و توجيهه .

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع أساتذة التاريخ بجامعتنا جامعة أحمد دراية بأدرار.

كما نشكر أيضاً كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل المتواضع، و نرجوا من المولى عز و جل أن يجازيهم أحسن جزاء.

حليمة

شكر وعرفان

الحمد الله على كثير نعمه وصلى الله على عبده محمد

ورسوله وخاتم الأنبياء رافع القلم ومجل حقه وبيانه

وسلم تسليماً.

أما بعد:

خالص الشكر والامتنان إلى كل من اتسعت صدورهم

وأوقاتهم لهذا العمل إلى الأستاذ المشرف" بن سويسي

محمد الذي لم يدخر جهداً لمؤازرتي بمعلوماته

وتوجيهاته.

كما أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى كل أساتذة

التاريخ بجامعة أحمد دراية بأدرار.

أتشكر أعضاء لجنة المناقشة على تحملهم مشاق

مناقشة هذه المذكرة.

عولية

مقدمـــــة

مقدمة

أثناء فترة القرن العشرين ، ومع تواجد الإستعمار الفرنسي في الجزائري والذي نتج عنه تغير طريقة الصراع الحضاري ضد المستعمر الفرنسي الذي كان يمارس شتى أنواع التعذيب واصدار القوانين الجائرة في حق الجزائريين، كقانون التجنيد الإجباري فيفري 1912م، وقانون الطوارئ والرقابة. ولكن بالرغم من هذه المعاناة إلا أن الأمل قد زرع من جديد بوجود مجموعة من رواد النهضة الإصلاحية الذين قاموا بالتعليم والتأليف والإصلاح الديني، وكان من بينهم أبرزهم عمر راسم، ومصطفى بن خوجة، ومُحَمَّد بن أبي شنب.

وما من شك في أن عمر راسم يعتبر من أعظم الشخصيات الوطنية في تاريخ الجزائر الحديث، فهو من الرجال الذين وقفوا في وجه المستعمر الفرنسي بواسطة فنه وجرائده وصحافته، فهو يعد من أوائل المصلحين مع مطلع القرن العشرين، فهو رجل علم ودين، وفن ورسام، لما خلفه من جرائد ورائه مثل جريدة "ذو الفقار "، ومقالاته، فكان شعلة متقدة للوطنية و الغيرة، لا تقف به عند حدود القطر الجزائري أو المغرب العربي، بل تجاوزت به إلى كل البلدان المضطهدة بالاستعمار الاستيطاني والإقتصادي.

ماهو دور عمر راسم في النهضة الإصلاحية في الداخل و الخارج؟.

أهمية الموضوع:

وتأتي أهمية هذا الموضوع في كونه يتناول مرحلة بالغة الأهمية من تاريخ الجزائر المعاصر، كون عمر راسم لم يخدم الثقافة العربية والسياسية والإجتماعية فحسب، وإنما خدمها أيضاً بمواهبه الفنية الرائعة نظريا وتطبيقاً والتي كان لها الأثر الواضح على بعض الشخصيات الوطنية.

دوافع اختيار الموضوع :

ومن أسباب اختيارنا لموضوع هذا البحث تناوله دراسة إحدى أهم الشخصيات المؤثرة في تاريخ الجزائر المعاصر، وهي شخصية عمر راسم ، حيث نعكف على إبراز وتوضيح القيمة الدينية والأخلاقية والفنية والصحفية التي يتمتع بها هذا الأخير، ودوره في تنوير الدولة الجزائرية.

وقد توفرت لدينا العديد من الأسباب لإختيار هذا الموضوع نذكر منها ما يلي:

– قيمة عمر راسم الفنية فهو رجل دين، فنان، رسام، خطاط، من أحد المبدعين في الخط العربي، والزخرفة الإسلامية.

– ظهور بوادر اللغة العربية الحديثة، والتي تزامنت مع ظهور عمر راسم مع بداية القرن العشرين.

– قلة المادة العلمية التاريخية التي تدرس حياة عمر راسم، فلذا قررنا أن نقوم بدراسة هذا الموضوع.

– التأثير التاريخي الذي خلفه عمر راسم كونه عاصر النهضة العربية الإسلامية و الحركة الوطنية، والإستعمار الفرنسي.

–كما أشرنا في بحثنا هذا إلى حياة عمر راسم، و ثقافته، وعلاقته ببعض المفكرين.

وأما الدافع الشخصي تمثل في الرغبة الشديدة لدراسة هذه الشخصية التي تمتلك الأيادي البيضاء التي أسداها إلى فن الزخرفة في الجزائر، فعلى الرغم من هذه الميزات العديدة إلا أنه ظل مجهولاً لدى الكثير من أهل الفكر والثقافة في أيامنا هذه.

الإشكالية:

ولتحقيق أهداف البحث نطرح الإشكالية التالية: ما مدى تأثر عمر راسم بالنهضة الإصلاحية في الداخل والخارج ؟ وما هي الأدوار التي قام بها ؟ ونشاطاته الفنية والصحفية، و ردت فعله اتجاه بعض القضايا الاجتماعية ؟

ويتفرع من الاشكالية الرئيسية مجموعة من التساؤولات:

- ما مدى تأثير عمر راسم بالإصلاح؟
- ما هو دور عمر راسم في النشاطات الفنية والصحفية؟
- كيف كان رد فعل عمر راسم اتجاه بعض القضايا الإجتماعية ؟

وللإجابة على الإشكال المطروح اعتمدنا على المنهج التاريخي الذي يعد الأنسب لهكذا مواضيع، ومن خلاله عرضنا الوقائع التاريخية المستخرجة من المصادر والمراجع ومحاولة فهم الأحداث، وطرح الأحداث بتسلسل الزمني مع دراسة حياة عمر راسم وحياته و أهم أعماله. وأما المنهج التحليلي فالاعتماد عليه كان من أجل تفسير الأحداث والظواهر واستخلاص النتائج النهائية.

ولدراسة الموضوع اعتمدنا على عدة مصادر ومراجع نذكر منها أبو القاسم سعد الله في كتابه، تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الخامس، والجزء الثامن، والجزء التاسع، وكذلك أحمد توفيق المدني في

كتابه حياة كفاح، وكذلك مُحَّد صالح ناصر في كتابه عمر راسم المصلح الثائر، واعتمادنا أيضا في هذه الدراسة على عدد من المقالات نذكر منها، موقف عمر راسم من الحركة من الحركة الصهيونية 1908-1916م ل دكتورة نفيسة رويدة، ومقال عمر راسم و خطاب الحركة الوطنية الجزائرية للدكتور عميراوي حميدة، ومقال عمر راسم صحفي ورسام بقلم الأستاذ زهير أحدادن، وبالإضافة الى بعض المراجع المتخصصة اعتمدنا على بعض الأطروحات والدراسات الاكاديمية: سهام بن عباس، حبيبة منصوري: عمر راسم نضاله الوطني و القومي 1884-1959م، ونجاة شنتير الواقع الإجتماعي والثقافي في الجزائر من خلال جريدة البصائر الجزائرية 1937-1956م، باحمد خليلي، اتهامي شياني: الأوضاع الإجتماعية للشعب الجزائري بين الحربين العالميتين 1919-1939م، ماروري صليحة: دور الصحافة الجزائرية إبان الثورة التحريرية 1925-1927م .

وبهدف الوصول إلى النتائج المرجوة فقد ارتأينا تقسيم الموضوع الى خطة بحث متكونة من ثلاثة فصول وكل فصل يحتوي على ثلاثة مباحث، فضمنت المقدمة التعريف بالموضوع وإبراز أهميته ودوافع اختيار موضوع عمر راسم ودوره الإصلاحي مطلع القرن العشرين ، ومن ثم طرح الإشكالية و الدراسات السابقة وفي الأخير الخطة المتبعة في البحث.

الفصل الأول خصصناه لدراسة حياة وثقافة عمر راسم ويقسم إلى ثلاثة مباحث الأول مولد ونشأة عمر راسم ، ويتناول المبحث الأول بدوره ثلاثة مطالب ،المطلب الأول مولده ونشأته ،المطلب الثاني تكوينه ومساره الدراسي، وأما المطلب الثالث شجاعته وسجن، فيما يخص المبحث الثاني تطرقنا فيه إلى الأوضاع الداخلية والخارجية المؤثرة في فكر عمر راسم، وهو مقسم إلى ثلاثة مطالب ، المطلب الأول: تأثيرات الأوضاع الإقتصادية والسياسية ، والمطلب الثاني: تأثير الأوضاع الإجتماعية والثقافية و المطلب الثالث: تأثير الأوضاع الخارجية والداخلية في فكر عمر راسم وفي الاخير خلاصة الفصل.

خصصنا الفصل الثاني لدراسة النشاطات الصحفية و الفنية لعمر راسم وبعد التمهيد قسمنا الفصل إلى مبحثين ،المبحث الأول وتناولنا فيه النشاطات الصحفية لعمر راسم، ويضم مطلبين ، المطلب الأول المطلب الأول: جريدة ذو الفقار وأما المطلب الثاني جريدة الجزائر. واما في المبحث

الثاني فتطرقنا فيه إلى النشاطات الفنية لعمر راسم وضمناه المطلب الأول: عمر راسم و الخط العربي، والمطلب الثاني: عمر راسم و الموسيقى الأندلسية.

وفي الفصل الثالث وقفنا على موقف عمر راسم اتجاه بعض القضايا الإجتماعية، حيث تطرقنا في المبحث الأول رد فعل عمر راسم من الحركة الصهيونية والفساد الأخلاقي، وقسم بدوره إلى مطلبين المطلب الأول موقفه من الحركة الصهيونية ، والمطلب الثاني محاربته للفساد الأخلاقي. وأما المبحث الثاني فتناولنا فيه إهتمامه بالتعليم ووفاته ، وقسمناه الى مطلبين ،المطلب الأول: اهتمامه بالتعليم، والمطلب الثاني: وفاته وأخيرا خلاصة للفصل.

وأما الخاتمة فكانت عبارة عن استنتاجات توصلنا إليها من خلال دراسة فصول البحث، وفي الأخير ارفقنا البحث بملاحق توضيحية مدعمة جوانب رأينا أنها تفيد بحثنا.

الفصل الأول

عمر راسم حياته و ثقافته.

تمهيد:

تمثل نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م حقبة بالغة الأهمية وعميقة التحولات في فلك الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الجزائري، فكانت السنوات الأولى متميزة بمجتمع يحكمه التبعية الأهلية ؛ مجتمع مفكك البني عاجز عن المقاومة الفعالة لهيمنة سلطة الدولة الإستعمارية وكان للصحف التونسية وغيرها من المنشورات الوافدة على الجزائر من تونس الأثر البالغ على الحياة الثقافية الأدبية منها؛ وذلك من خلال ماكانت تقوم به بعض الصحف لمتابعة مسيرة النهضة الأدبية في الجزائر؛ وفتح صدرها لبعض الطلبة الجزائرين لينشرو بعض أعمالهم نذكر بعضها "كالعصر الجديد والنهضة ؛ الزهرة ؛ الوزير، الصباح...الخ. نذكر من بين المفكرين الإصلاحيين عمر راسم وعمر بن قدور...الخ.

ومنه سنتطرق في هذا الفصل الأول إلى مبحث حول حياة عمر راسم حياته وثقافته، والذي يحتوي على ثلاث مطالب حيث يحتوي المطلب الأول على مولد عمر راسم، والمطلب الثاني يحتوي على نشأته و تكوينه، أما المطلب الثالث يتحدث عن شجاعة عمر راسم وسجنه.

المبحث الأول:نشأته ومساره التكويني.

المطلب الأول: مولده و نشأته.

ولد عمر راسم بمدينة الجزائر في الربيع الأول من سنة 1302هـ الموافق ل سنة 1884م،ابن علي مُحَمَّد الجبائي و ابن السيدة باية بورصاص وكانت عائلته من مدينة بجاية ثم انتقلت إلى مدينة الجزائر[1]. وهي تنتمي إلى قبيلة صنهاجة [2]ولذا سمى عمر راسم نفسه بالصنهاجي وأصبح معروفا به، وكانت معظم امضاءاته بهذا الاسم لكثير من المقالات التي نشرها. وهناك من يرجع أصله إلى الأتراك ذلك لتواجد لقب راسم في تركيا .كما يرى البعض أن أطلق لقب راسم على أسرته لاشتهارها بالفنون والرسم كرسم المنمنمات الجزائرية في سنة 1939م مع شقيقه مُحَمَّد راسم[3] الذين كان لهما شهرة كبيرة في تلك الفترة التاريخية خاصة أن عمر راسم أعتبر من أهم رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر[4].

نشأته:

نشئ عمر راسم في بيئة فنية مند نعومة أظافره، وكانت عائلته متوسطة الحال تنحدر من القصبة الذي كبر بها وترعرع وتعلم ولعل إطلاق لقب راسم على هده العائلة لم يكن من باب الصدفة بل ، لأن معظم أفراد هذه العائلة كانوا يمتهنون فن الرسم والخط والموسيقى والشعر و الزخرفة، وهذا إنطلاقا من مواهبهم الفنية التي يمتازون بها فلقد كان أبوه علي راسم من أشهر الرسامين والمزخرفين على مادة الخشب في عصرهم بينما كان عمه مُحَمَّد راسم متفنناً لزخرفة الخط ، وكما يرجع له الفضل الكبير في التحكم في أسراره وضوابطه[5].

---

[1] أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ص63.

[2] قبيلة صنهاجة :هي واحدة من أكبر القبائل الأمازيغية ظهرت في القرن الرابع هـ /10م.تقع في قلب المغرب الأوسط (الجزائر).شهدت توسعا كبيرا كنت عبارة عن إمارة داخل الدولة الفاطمية وظهر فيها المذهب الإسماعيلي الشيعي .للمزيد انظر رضا النية صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطمين الى مصر.مدكرة لنيل رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط جامعة منثوري، قسنطينة، 2005-2006.ص10

[3]- مُحَمَّد راسم :هو مُحَمَّد سعيد راسم أحد إخوة من عائلة واحدة اشتهرت بفن الرسم والفنون الجميلة كالخط والمنمنمات ,وكان فنان بنفسه .للمزيد أنظر كتاب أبو القاسم سعد الله :تاريخ الجزائر الثقافي ,ج8,ص429

[4] - أبو عمرآن الشيخ وفريق من الأساتذة: معجم مشاهير المغاربة، منشورات دطب،ص198

[5]- عمر راسم الفنان والخطاط المزخرف و المصلح الثائر، العهد العثماني، الجزائر،ص 340

ساهم عمر راسم في نشر الفن وتعليمه للنشأ الجزائري فلم يقم عمر راسم بالتحفظ بفنه لنفسه بل عمل على نشره وتعليمه للشباب لأنه كان يعشق فنه، فالفن عند عمر راسم هو أصالة وإبداع لا صنعة ولا تقليد ولا تهريجاً[1]، فكان يدرك أهمية التربية الفنية وإنعكاسها الإيجابي في تكوين العقل وإصلاح المجتمع الجزائري، كما كان لعائلته دوراً مهماً في توجيهه في وقت كانت تعيش فيه الجزائر تدهوراً بسبب الإستعمار[2].

المطلب الثاني: تكوينه ومساره الدراسي .

كان للأب راسم الدور الكبير في جعل ابنه شخصاً موهوباً نجيباً، فعمل جاهدا لتلقي ابنه ثقافة متنوعة من حفظ القران الكريم والصحافة والرسم، فتمكن عمر راسم من حفظ القران الكريم وهو في سن سبع سنوات، فقام والده أولاً بإدخاله إلى الكتاب المعروف بابا عثمان المعروف بالعاصمة وهو صبي صغير ثم إلى المسجد لإتمام حفظ القرآن، إذ استطاع هذا الأخير أن يجد لإبنه وظيفة حزاب وهو ابن الثاني عشر وهي وظيفة لم يبقى منها الكثير في نهاية القرن الماضي، بعد أن انحصرت الوظائف الدينية في عدد من العائلات وهدمت أغلب المساجد أو عطلت، فكان راسم يتلقى دروساً على أيادي الشيوخ في المسجد منهم مُحَمَّد بن مصطفى بن خوجة الذي كان يمدح راسم واعتبره شاعر العصر والخبير بأحوال المشرق[3].

تلقى راسم تعليماً متواضعاً في اللغة العربية والفرنسية أيضاً، فقد اقتصر تعليمه على بعض الدروس القليلة في النحو على يد الشيخ مُحَمَّد بن المصطفى الكمال الملقب مضربة، وقد دخل عمر راسم مدرسة الجزائر الشرعية الفرنسية، ولكنه لم يستمر فيها فبقي فيها سنة واحدة ثم أخرج منها في ظروف غامضة، وكذلك تلقى عمر راسم دروساً في اللغة الفرنسية بالرغم من أنه كان شخصاً عمومياً ، إلا أنه استطاع بإرادته القوية التي كان يتحلى بها دوما أن يعوض هذا النقص وذلك الإنقطاع بعزيمته على المطالعة باللغتين العربية والفرنسية وتنمية اتصالاته الإجتماعية ، ومن المعروف

---

[1] – الجيلاني ضيف:بناة المجد عمر راسم ، دار الخليلية العلمية، الجزائر، 2013م، ص، ص25، 26 .

[2] – مُحَمَّد صالح ناصر: عمر راسم المصلح الثائر، مزيدة، منقحة، ط2، الجزائر، ص ص 17،18 .

[3] – أمال أمخلاف:عمر راسم حياته ونشاطه 1884.1903م،م\كرة لنيل شهادة الماجستير ، بن نعيمة عبد المجيد، وهران ، 2009.2010م، ص 18.

على عمر راسم أنه في عمر التاسع عشر سنة حضر لقاءات الشيخ عبد الحليم بن سماية ومُحَمَّد عبده عندما زار الجزائر سنة 1903م[1].

و الجدير بالذكر أن عمر راسم كان يتردد على ورشة والده وهذا ما مكنه من تعلم أسرار الرسم والزخرفة والخط العربي، وفي هذه الورشة العائلية للحرف التقليدية احتك بشخصيات أدبية وعلمية وسياسية هامة.

المطلب الثالث : شجاعته وسجنه.

كان السيد عمر راسم يتمتع بشجاعة وقوة وهذا ما دفع بالمستعمر الفرنسي للتضييق عليه، فبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى، وبسبب وقوع رسالة موجهة من الجزائر إلى الشعب المصري، في يد البريطانيين الذين قاموا بإدلال محتوى الرسالة لفرنسا، والتي كانت تتضمن عدم الخضوع لفرنسا، فوجهت له التهمة بحكم أن الخط هو خط راسم فتم القبض عليه وزجه في السجن مند 14أوت 1914م إلى غاية 1921م[2].

وتعتبر مرحلة السجن التي مر بها عمر راسم من أقسى ما عانى في حياته، فقد شعر أن الدنيا قد تنكرت له وأن الحياة أصبحت جحيما، بعدما كان حراً طليقاً فقام بتوجيه رسالة إلى أخوه سنة 1919م، ومما جاء فيها : " **إني الآن أعيش الفترة الأكثر صعوبة في حياتي، إن اللحظة التي أستطيع فيها التنفس لم تحن بعد فهل أستطيع تحمل هده الوضعية التي لاتطاق؟ هل أستطيع العيش في هذه الوضعية التي لاتطاق ؟ لمن أشكو؟ حتى البكاء الذي سيخفف عني لا أستطيعه لأن ذلك يجب أن يكون بعد إذن**" [3].

غير أن هذه الفترة التي عاشها من عمره كانت تجربة انعكست كلياً على حياته ومن بعدين إحداهما إيجابي والآخر سلبي. فالجانب الإيجابي منها تجلى في قضاء راسم معظم أوقاته مع كتاب الله عز وجل وتلاوته وتدبره وتفسيره، ولقد ألفه أثناء تواجده في سجن بربروس في الزنزانة رقم 40 كما كشفت لنا هذه الفترة جانباً خفياً من مواهب وعبقرية هذا الفنان، أما الجانب السلبي فتجلى في

[1]- سعد الله أبو القاسم :تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، دار الغرب الإسلامي 1950.1830، ط1، ص284.

[2]- الجيلاني ضيف: المرجع السابق،ص،ص،70،69.

[3]- سهام بن عباس ،حبيبة منصوري:عمر راسم نضاله الوطني والقومي 1959.1884م، مدكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تخصص تاريخ الحديث والمعاصر،سليم أوفة،20172016م،الجيلالي بونعامة ،خميس مليانة،ص89.

خيبة أمل أثرت في روح الرجل وجعلته يبقى حزيناً، فبعد نقله من سجن فرنسا وجد نفسه في سجن جديد تطارده الوحدة والحزن[1].

ومنه نستنتج أن عمر راسم منذ صغر سنه كان قد حفظ القرآن الكريم، وكذلك تشبع بالثقافة و بازدواجية اللغة العربية والفرنسية، غير أن الحكومة الفرنسية قامت بزجه في السجن لكي تقمع له أعماله وتقوم بحصره.[2]

[1] –سهام بن عباس، حبيبة منصوري : المرجع السابق،ص90.

[2] -أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص 286.

المبحث الثاني : الأوضاع الداخلية و الخارجية المؤثرة في بناء فكر عمر راسم.

المطلب الأول: الأوضاع الإقتصادية و السياسية.

1-الأوضاع الإقتصادية:

لقد أدت الأزمة الاقتصادية التي مرت بها الجزائر غداة الحرب العالمية الأولى إلى تفاقم وضعية المسلمين التي لم يكن يحسدون عليها، كما عرف اقتصادها الذي كان تابعاً للإقتصاد الفرنسي ركوداً حاداً، حيث تقلصت التجارة بين فرنسا والجزائر بفعل تسخير السفن لصالح الجيش وقلة وسائل النقل وبطئها، بالإضافة إلى ارتفاع الأسعار الفرنسية، ولقد سبب هذا إلى تدهوراً في العلاقات نوعاً من الإختلاف، فارتفعت المواد الإستهلاكية كثيراً، وعانى الفلاحون وعمال الريف من تلك الزيادات وتدهورت قدرتهم الشرائية بصفة محسوسة[1].

رأت فرنسا أن الوضع في الجزائر أصبح يثير القلق نتيجة تصاعد التيار المعادي للفرنسي غير أنها تستدرك بعد ذلك بأن السبب لا يعود إلى الوطنية أو العرقية، ولكن يعود إلى الوضع الإقتصادي إلى جانب شبح المجاعة الذي أصبح يهدد السكان وذلك عن طريق الإعتماد على السلطات الفرنسية التي تشير إلى انخفاض الحاد في أسعار المواد الفلاحية وانهيار المشاريع العامة، بالإضافة إلى الزيادة الكبرى في نسبة البطالة ، وانهيار سوق الحبوب وسقوط قيمة الأجور وتجاوز عدد الجزائريين 06 ملايين نسمة فمعظمهم كانوا يعيشون على الفلاحة سواء كانوا ملاكاً صغار أو عمالاً فلاحين لدى المعمرين الفرنسين والأجانب إلى جانب ضيق المساحة الأرضية التي لا تسمح للفلاح الجزائري بالقيام بشؤون أسرته ، وكذلك قلة الوسائل الفلاحية وانخفاض مستوى المعيشة العام الذي كان يسبب لعبئ كبير للفلاحين، ومنع الفلاحين من التمتع الفلاح بحرية التصرف في منتوجاته، وهذا ما أدى إلى كثرة الهجرات من الريف إلى المدن من جهة وكذلك من الجزائر إلى فرنسا من جهة أخرى ، وهذا التغير من الواقع الجزائري بالإقتصاد الفرنسي جعل الأمر يزداد سواءاً بالنسبة للجزائريين[32] و هذا ما جعل الحاكم العام يقترض من فرنسا مباشرة ثلاثة ملايير وثلاث مئة مليون فرنك لسد العجز

[1] – سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، الجزائر، دار الرائد، ص 40.

[2]-المرجع نفسه، ص41.

ومواجهة الأزمة الإقتصادية التي كانت تمر بها الجزائر، غير أن هذا كله كان بيد وتصرف المستوطنين ولذلك عدم استفادت الجزائريون من هذا القرض.[1]

وفي سنة 1938م أعلن الحزب الشعبي الفرنسي اليميني أن الجزائريين كانوا ينضمون إلى الحزب الشيوعي بسبب تدهور الوضع الإقتصادي، والمتمثل في وضع الموظف الجزائري وطبقته وأن أغلب الجزائرين كانوا يعيشون بدون خبز إلى جانب حاجة الجزائريين إلى مئات من الأطباء، ولكن لا يوجد فيها إلا حوالي مائة طبيب فقط[2].

2-الأوضاع السياسية:

قامت الإدارة الفرنسية **بتطبيق** عدة سياسات إجتماعية وثقافية مع التركيز على القطاع الإقتصادي، حيث أولت أهمية كبرى للميدان الفلاحي والتجاري والخدماتي بما يخدم مصالحها، فهذا ما أدى بتأثير عمر راسم بهذه السياسات الداخلية في الجزائر الناتجة عن الأوضاع التي تلقاها الشعب الجزائري، وصعوبة المعيشة، إضافة الأوضاع الخارجية التي أثرت في عمر راسم مثل: شكيب أرسلان وزيارة مُحَمَّد عبده للجزائر الذي سار على نهجهم.

ومنه سنتطرق في هذا المبحث الثاني إلى الأوضاع الداخلية السائدة في الجزائر والتي أثرت في عمر راسم، وكذلك الأوضاع الخارجية والمتمثلة في تأثير مُحَمَّد عبده وكذلك تأثير شكيب أرسلان.

خلال فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر برزت تغيرات في الجانب العسكري واضطرابات عديدة مست كل الجوانب الثقافية والدينية فكان قانون إلحاق الجزائر بفرنسا عام 1834م، وإصدار قانون التجنيد الإجباري 1912م، وهذا كله كان خرقاً للاتفاق المبرم في عام 1830م بين الجزائر وفرنسا الذي يشتمل على المبادىء المتفق عليها وذلك بعد استسلام الحاكم في الجزائر في 5جويلية 1830م، بحيث أن فرنسا لم تقم بتطبيقه بل خالفته، فلقد أباحت فرنسا "لديبرمون" وللجنود الفرنسين في مدينة الجزائر ثلاثة أيام وبعدها بدأت بالنهب والاستيلاء على الممتلكات ، فقامت السلطة الفرنسية بإصدار قرار1934/07/22م الذي ينص على أن الجزائر أرض فرنسية. ولكي تصل فرنسا إلى هدفها الأكبر قامت بإصدار قانون تقسيم الجزائر إلى ثلاث مناطق (مدنية –

[1]-سعد الله أبو القاسم : الحركة الوطنية الجزائرية، ج،3ص42.

[2]- سعد الله أبو القاسم: المرجع السابق،ص43.

عسكرية – مختلطة)، وهنا اكتمل دستور 04 نوفمبر 1848م الذي اعتبر الجزائر في المادة 109 الجزائر أرض فرنسية.[1]

اتبعت فرنسا طيلة فترة الإحتلال أسلوب الإدماج والتجنيس من أجل أن تجعل الجزائر ملكية فرنسية، وذلك بدعم من القرارات التي اصدرتها خلال الفترة ما بين 1834م الى 1858م فكان الفرنسيون يعتقدون أن سقوط العاصمة سيمكنهم من إحتلال القطر الجزائري في ظرف أسبوعين، لكنهم اصطدموا بمقاومة شعبية عنيفة تعبر عن ما مدى رفض الشعب الجزائري للإستعمار الفرنسي والتي نذكر منها مقاومة الأمير عبد القادر، ولكن هذه المقاومات فشلت في قهر الإستعمار الفرنسي و ذلك لعدة أسباب منها عدم التنسيق وكذلك وجود السياسات القمعية التي كانت تنتهجها فرنسا في الجزائر ، فكل هذه الأحداث الوطنية التي كانت تعيشها الجزائر في العشرينيات طرحت قضية الحرية بمفهومها السياسي، وفي مطلع القرن العشرين ظهرت جماعة المحافظين، والتي كانت تمثل أصحاب التوجه العربي الإسلامي والمعارض للأفكار الفرنسية الذين كانوا يطالبون بالمساواة والدعوة إلى الجامعة الإسلامية، إلى جانب ظهور طبقة إجتماعية عرفت بإسم لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين التي اعتبرها "كلود كولو" و"جان روبير هنري" أنها بداية لظهور الأحزاب السياسية سنة 1912م[2].

تم إصدار مرسوم "كريمو" بتاريخ 24 أكتوبر1870م الذي يسمح لليهود بالحصول على الجنسية الفرنسية و التمتع بجميع الامتيازات، وهذا من أجل تقوية عدد السكان الأوروبين واليهود لكي تنجح سياسة الإدماج بسرعة واستغلال الأراضي، كما تؤكد بعض الإحصائيات الواردة في المصادر الفرنسيةلأن المستوطنين الفرنسين والأجانب كانوا يطمحون إلى جلب حوالي 2 إلى 6 أو7ملاين مختلطي الجنسية وذلك من خلال ما يلي :

1- منح الجنسية الفرنسية لجميع الأوروبين المولودين بالجزائر .

2- تقوية التمثيل السياسي في فرنسا وفي داخل الجزائر حتى لا تتجرأ الحكومة الفرنسية على اتخاد أية إجراءات سياسية أو إدارية لصالح المسلمين الجزائرين .

[1]-سعد الله ابو القاسم : الحركة الوطنية الجزائرية،ج3 ، ص 43.

[2]نجاة شنتير :الواقع الاجتماعي والثقافي في الجزائر من خلال جريدة البصائر الجزائرية، 1937.1956م،د.خير الدين شترة، مذكرة بحث مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافة ألمغاربي عبر العصور، 2014.2015، ص ص 47.48.

3- الرغبة في تحقيق الطموحات السياسية للمستوطنين الأوروبين والمتمثلة في إقامة مؤسساته كمدينة تخدم مصالح هذه الفئة الأوروبية المقيمة في أرض الجزائر .[1]

وبعد كل هذه الأسباب ونتائجها التي خلفها الاستعمار تشكلت فئة مواجهة له نذكر منهم عمر راسم الذي عاصر بوادر الحركة الوطنية والأفكار الإصلاحية من المشرق التي كان يسعى لتغير أساليب فرنسا ، وفي ظل هذا المنظور وصلت الفكرة الواحدة الواضحة في ذهن عمر راسم لا تتغير وهي الدفاع على الأصالة العربية الإسلامية، والموقوف في وجه كل من يحاول تشويهها كما ساهم في تطوير دائرة النشاط الوطني بأفكاره وآرائه عن طريق الصحافة[2].

المطلب الثاني : تأثير الأوضاع الإجتماعية والثقافية.

1-الإجتماعية:

أدت السياسة التي انتهجها الفرنسيون في الجزائر إلى تغير الوضع الإجتماعي الذي كان يسود الجزائر وحولته إلى وضع مزري ومأسوي، وذلك بسبب تدني المستوى المعيشي حيث أصبح الخوف شبحاً يهدد وجودهم طوال الوقت، وأصبح همهم الوحيد هو توفير القوت اليومي لعائلاتهم، لأن المعركة من الحياة هي التي أصبحت تسير شعور الجزائريين والأقلية الأوروبية على حد سواء، فقد كان الجزائري ينظر بأن الأوروبين هم سبب تعاستهم وشقائهم، لأنهم ببساطة منعوهم من قوتهم اليومي واستولوا على خيرات بلادهم دون وجه حق...الخ[3] ، وكان الفرد الجزائري يشعر من الناحية الاجتماعية أنه مضطهد وليس لديه أي حق في خيرات بلاده، بينما المعمرون يتمتعون بها دون مشاركتهم في ذلك فهذه السياسة طبقت في الجزائر منذ 1871م التي تهدف إلى إذلال وتجويع الجزائريين إلى أن أصبحوا يعيشون في شبه المجاعة سنة 1912م، فقد وقع الجفاف في فصل الربيع، وانخفض محصول الشعير، كما ونجد أن انخفاض محصول القمح من حوالي ثلاثة ملاين ونصف مليون قنطار بنسبة 44/للشعير و41/بالنسبة للقمح ، وهذا بالإضافة إلى ارتفاع نسبة الضرائب

[1]-نجاة شنتير: المرجع السابق، ص 50.

[2]- .عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962م،دار الغرب الإسلامي،1997م،ط1، بيروت،ص ص 157 161.

[3]-باحمد خليلي ،اتهامي شياني:الأوضاع الإجتماعية للشعب الجزائري بين الحربين العالميتين 1919م1939م،مذكرة لنيل ماستر في تاريخ الحديث ومعاصر ،إشراف أحمد بوسعيد، جامعة أدرار ، 2016م،2017م،ص41.

مابين سنتي 1900م و 1914م وكانت تقدر حوالي 15/لضريبة اللازمة و 11 /بالنسبة لضريبة الزكاة.[1]

2-الثقافية:

إن الفترة التي كانت تمر بها الجزائر المتسمة بالخوف والارهاق هي فترة متعددة الجوانب لأن الاحتلال كان مفروضاً بقوة السلاح لذا لجأ الجزائريون إلى أضعف الأشياء التي يتوسلون بها للإبقاء على الشخصية الوطنية إلى أن تأتي ساعة الخلاص.

ولولا الفئة من المثقفين التي بقيت في الزوايا والكتاتيب القرآنية وهذا باعتراف الحقبة التاريخية لفقدت الجزائر شخصيتها إلى الأبد ولكان الاستعمار الفرنسي قد نجح في عزلها عن شخصيتها إلى الأبد، بما استعمله من وسائل جهنمية لهذا الغرض، لقد كانت الأوقاف المحبسة على المؤسسات الخيرية وخاصة أماكن العبادة والتعليم تؤدي خدمات اجتماعية وثقافية واقتصادية في المجتمع الجزائري. [2]

وكان من المفروض النظر إلى المثقف كطاقة فكرية محركة ومبدعة وموجهة ولعل الخطورة في هذا الوضع تكمن في نمو روح العزلة والابتعاد عن الفاعلية في المجتمع لدى المثقف، وعدم حاجة الجهاز الإداري للانتفاع به[3].

ولم تقتصر اعتداءات الاحتلال الفرنسي للجزائر على الجوانب السياسية والعسكرية والإقتصادية فحسب بل اعتمدت إلى تدمير معالم الثقافة والفكر فيها، وتمثل ذلك في حقد الصليبين وإصرارهم الشديد على تجهيل الشعب الجزائري وتحطيم مقومات الأمة، وعلى رأسها الدين الإسلامي واللغة العربية بإعتبارهما يتناقضان مع حضارتهم ويعرقلان أهدافهم ومشاعرهم الإستعمارية معتمدين في ذلك على مصادرة الأوقاف الإسلامية بإعتبارها الراعي على الحياة الدينية والتعليمية في الجزائر، وفي نفس الوقت تشكل عائقاً كبير في وجه السلطات الإستعمارية وهذا ما أدى إلى دفع أحد الكتاب الفرنسين إلى القول بأن الأقوال تتعارض مع السياسة الإستعمارية وتتنافى مع المبادئ

[1]- عمار بوحوش :المرجع السابق، 160.

[2]- ناصر الدين سعيدوني :الجزائر منطلقات و أفاق من خلال قضايا و مفاهيم تاريخية، دار الغرب الإسلامي، ط1،بيروت، 2000م، ص 20.

[3] -المرجع نفسه،ص238.

الإقتصادية التي يقوم عليها الوجود الفرنسي الاستعماري في الجزائر، وهذا أيضاً ما أكده تصريح اللجنة الإفريقية التي بعثها ملك فرنسا إلى الجزائر سنة 1833م حيث جاء نصه كما يلي:

– ضممنا أملاك الدولة وسائر العقارات التي كانت تملك الأوقاف من أملاك، واستولينا على أملاك طبقة من السكان كما تعهدنا برعايتها وحمايتها...لقد انتهكنا حرمات المعاهد الدينية ونشبنا القبور، واقتحمنا المنازل التي لها حرمتها عند المسلمين[1].

قامت السلطات الفرنسية بغلق مدارس العلماء المصلحين في كل من تلمسان وسيدي بلعباس، وطردت معلميها وغلقت أبواب المساجد في وجه دعاة الإصلاح في هده المناطق ، أما في الجزائر فنجد الطيب العقبي الذي كان معادي للفرنسين في موقفه، وكما كان يهدف إلى خلق إضطرابات ضد الأمن العام ، والتي أدت إلى قيام المظاهرات العامة المعادية لتدخل السلطات الفرنسية في الشؤون الدينية، إضافة إلى استنكار الشيخ عبد الحميد بن باديس فكرة غلق الأبواب والمساجد والمدارس في خطبة له في نادي الترقي بالعاصمة وهذا ما أثر في نفسية عمر راسم ودفعه إلى محاربة كل هذه المأساة وإصلاحه للوضع من خلال نضاله بواسطة صحفه ومقالاته في الصحف الأخرى لإصلاح الأوضاع بما يتعلق بالهوية في الجزائر كل التجنيس والتعليم[2].

وبإيجاز فإن المقصود من هذه السياسة هو تفقير الناس وتجويعهم عن طريق إجبارهم على بيع ما عندهم من بقر وغنم وأرض لدفع الديون المفروضة عليهم، مما يسبب في انتشار المجاعة في أوساط المسلمين الجزائرين وحسب 1872م ، فقد ثبت بأن ما يزيد عن 600.000 جزائري قد لاقوا حتفهم بسبب المجاعة والفقر.

كما نجد أن المستعمر الفرنسي لم يكتفي بنهب الأراضي وسلبها من ممتلكاتها بل تعد الحدود ووصل إلى حد كبير ووظف كل ما لديه من قوة ظاهرة وباطنة للقضاء على مصادر الثقافة الوطنية الإسلامية، فهدم المساجد وحول البعض منها إلى ثكنات عسكرية وكنائس ومستوصفات وكذلك حتى الملاهي كما يسمح نفس السياق في توجيه ضربات قاسية للمثقفين الجزائرين فقتل من قتل ونفى من نفى وزج بالسجون بمن شاء ، وظل يطارد ويضاهد كل من بقي طليقاً قصد منعه من القيام بواجبه في المجتمع ، وبذلك أصبحت الإحصائيات تشير إلى حوالي 19% جزائريون متعلمون

[1]– عمار عمورة :المرجع السابق،ص252.

[2]– سعد الله أبو القاسم :الحركة الوطنية الجزائرية،ج3،ص50.

وهذه النسبة تتضمن كذلك من كان يحسن الكتابة والقراءة سواء باللغة العربية أو باللغة الفرنسية ، فمثلاً في مجال التعليم الإبتدائي الأطفال الفرنسيون كلهم يقبلون على الدراسة التي تطبق البرامج السارية المفعولة في الوطن الأم، وبواسطة معلمين أكفاء ، كما توفر لهم كافة الوسائل الضرورية لأداء رسالتهم على أحسن وجه، أما الأطفال الجزائريون فتشير المصادر إلى مايلي : عندما كان يبلغ الطفل الجزائري السن الدراسي لايجد إلا مقعد واحد سوى لستة ذكور ، ومقعد آخر يتراوح مابين 16و 76فتاة 28، والمقصود من هذا أن طفلين جزائريين فقط من جملة حوالي 30 كان يمكن لهم أن يدخلوا المدرسة وتمنح لهم كل الوسائل للتعليم .

ولم تكتفي السلطة الفرنسية بهذا فقط بل قامت بتجهيلهم من اللغتين الفرنسية والعربية ، كما حاربت اللغة العربية في المدارس والكتاتيب[1].

المطلب الثالث: تأثير الأوضاع الخارجية في بناء فكر عمر راسم.

1.شكيب أرسلان:

المولود بالشوف في لبنان في 25ذيسمبر 1869م، وتعلم في بيروت ومن بين شيوخه ندكر:الشيخ مُحَمَّد عبده ، فكان الأمير شكيب أرسلان ينظم الشعر في سن مبكر ، ويكتب في الصحف المعاصرة مثل الأهرام والمؤيد وتولى وظائف إدارية في الشام أثناء العهد العثماني .

ترجع علاقة شكيب أرسلان بالجزائر إلى عهد متقدم وذلك من خلال إقامة الأمير عبد القادر بالشام ونشاط ابناءه وأحفاده في القضايا المعاصرة جعلت شكيب يصادف أحدهم حول المواقف من الدولة العثمانية وفرنسا...الخ[2].

وكانت صلة أرسلان بالجزائر وشمال إفريقية قدمرت بعدة قنوات قبل أن تتبلور، بدأت بحرب طرابلس والاختلاط بالجزائرين والتونسيين فيها، ومرت بالعلاقات مع أولاد الأمير عبد القادر وبعض أفراد الجالية الجزائرية مثل الشيخ طاهر الجزائري، وكما كانت علاقته بمصالي الحاج بعد

[1]– العربي الزبيري : تاريخ الجزائر المعاصر، منشورات اتحاد العرب ، 1999م، ص ص،21،20.

[2] –سهام بن عباس ، حبيبة منصوري: المرجع السابق،ص31.

تأسيسه لجريدة الأمة العربية، وكذلك علاقته بعمر راسم ، ولقد اتصل شكيب أرسلان كذلك مع توفيق المدني، والطيب العقبي [1].

لقد توطدت الصلة بين شكيب أرسلان والأعيان والكتاب الجزائرين أبرزهم أحمد توفيق المذني ، أما فيما يخص صلته بعمر راسم فلقد كانت هناك مراسلات بينهما مثل :الرسالة التي وجهها الزعيم شكيب أرسلان رداً على رسالة راسم يعاقبه فيها عن موقفه في المؤتمر الإسلامي المنعقد في 1931م، بالقدس الذي أعاب فيها راسم أنه لم يعالج قضية الخلافة الإسلامية[2].

2. تأثير مُحَمَّد عبده :

إن دراسة تاريخ الحركة الإصلاحية الحديثة في الجزائر تتطلب من الضرورة أن تتجاوز الحدود الجغرافية، والتطلع إلى الأبعاد التاريخية، فترقب الجزائريين للنهضة المصرية كان من أجل تأمل الجزائرين لوصول كتب ومجلات وجرائد المشرق العربي، فبحكم الظروف الجغرافية للجزائر ، وسقوطها في يد الإمبرالية والرأسمالية كانت آخر قطر عربي أثر تأثر بفكرة الإصلاح المعاصر.

ففي هذه الفترة كانت الجزائر تفتقر إلى الدعوة الإصلاحية، لكي تتخلص من اليأس الذي كانت تعيشه أنذاك، ولكي تتم عملية الإصلاح للفرد من الناحية الإجتماعية وكذلك الدينية إلى جانب تواجد عدد كبير من زعماء الأمة الذين هيئوا الوسائل والدعاية الشاملة وتوفير اليد العاملة لكسب الأرزاق والعمل على خلق الوحدة بين الجماهير الشعبية وهذه الوسائل والعوامل الضرورية جاءت من أجل القيام بحركة إصلاحية شاملة وناجحة.

فدعاة الإصلاح في العصور الإسلامية كانوا يعتمدون على مبادئ الإسلام الصحيحة، فكانوا يبدؤون بتطهير النفوس والعقول من البدع ثم يتدرجون إلى الحياة الإجتماعية والسياسية وفي حقيقة الأمر أن فكرة الإصلاح لم تكن جديدة عن المجتمع الجزائري لأن الإصلاح مستمد من القرآن الكريم، فالوضع الذي كان يشتكي منه المجتمع الجزائري من إنحطاط ومعاناة قاسية من طرف المستعمر الفرنسي، فهذا ما أدى إلى ظهور الحركة الإصلاحية في الشرق الأدنى، وأخد المثقفون في العالم الإسلامي ككل يتطلعون إلى مبادئها وأهدافها، منهم بعض العلماء الجزائريين، كما يرجع

[1]-ا لطيب العقبي :هو الطيب بن مُحَمَّد بن ابراهيم بن الحاج صالح العقبي، ولد ببلدة "سيدي عقبة"، ليلة النصف من شوال 1307هـ الموافق ل 1890/06/03م، و تزامن مولده مع العقد الذي ولد فيه الشيخ ابن باديس و الشيخ الإبراهيمي. للمزيد أنظر إلى مركز البحوث و الدراسات لأعلام السلفية.

[2] -عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، ج4،دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص 400.

الفضل لظهور الشكل الحديث للحركة الإصلاحية إلى الشيخ مُحَمَّد عبده وتلميذه رشيد –رضا في الشرق العربي[1].

فلما زار الشيخ مُحَمَّد عبده الجزائر صيف سنة 1903م جمادى الأول 1321هـ ولما جاء للجزائر تلقى استقبال جيد و عظيم ليلاً ونهاراً إلى أن غادر الإمام الشيخ مُحَمَّد عبده إلى تونس وحل بصقلية نزل بلرم ومنها خاطب الشيخ عبد الحليم ابن سماية برسالة في 30جمادى 1321هـ، الذي يبين فيها الشيخ مُحَمَّد عبده المنزلة العلمية، التي يرى فيها الشيخ عبد الحليم بن سماية [2].

لقد انتشرت أفكار المصلح مُحَمَّد عبده في كافة مناطق وأنحاء المغرب العربي خاصة في الجزائر، فانتشر اسمه وتخطى الحدود الجغرافية، وكان له تأثير كبير في الجانب النفسي كذلك، فيعتبر مُحَمَّد عبده زعيم الحركة الإصلاحية في أواخر القرن التاسع عشر ميلادي، حيث أنه لم يكن هناك المشارقة أصحاب النظر البعيد والأفكار السامية في الإصلاح الإجتماعي، ولكن سرعان ما اعترفوا بأن المعلم الروحي لجيله فحسب، بل المغرب العربي كله اعترف به فلقد كان قلعة تتفاعل فيه أفكار المصلح العظيم وعبقريته، فبفضل حركته الإصلاحية استطاع أن يبصم لمسته الإصلاحية في العالم الإسلامي وذلك بتقديمه للجزائريين العلم و تشبعهم بالثقافة الإسلامية، وتتبين جهود مُحَمَّد عبده في الجامعة الإسلامية على مر السنين والعصور وخاصة في العالم الإسلامي، فقد وجد صدى كبير في الجزائر بسبب الأوضاع التي كانت تعاني منها الجماهير الجزائرية بصفة عامة والطبقة المثقفة بصفة خاصة.

فإن زيارة الشيخ مُحَمَّد عبده للجزائر 1903م قد عمقت أفكار الإصلاح بصفة مباشرة في نفوس المثقفين الجزائرين وعلى رآسهم عمر راسم،كما اعتمدوا بشكل كبير على الفكرة الإصلاحية الحديثة لأن المثقفين الجزائريين كانوا يشعرون بأن الإسلام في الجزائر قد أصبح في عزلة جغرافية بعيداً عن كل تأثير جديد يتلآم مع مبادئه السامية.[3]

---

[1]– عبد الكريم بو صفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931م .1945م ، ط1، –دار البعث ، 1981م، ص ص، 54،51

[2]– عبد الرحمن مُحَمَّد الجيلالي: المرجع السابق ، ص407.

[3]ماروري صليحة: دور الصحافة الجزائرية إبان الثورة التحريرية 1925–1927م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ المعاصر، بن بوزيد لخضر، 2014، 2015م، ص ص 24–25.

خلاصة الفصل:

ومنه نستنتج أن عمر راسم والأوضاع التي كانت تعاني منها الجزائر في مطلع القرن العشرين بسبب الاضطهاد الذي لحقه المستعمر الفرنسي بالجزائر إلى جانب تأثير شكيب أرسلان ومُحَمَّد عبده الإيجابي الذي حفزه على مواصلة أعماله التي لم يتوقف عنها حتى وهو في السجن ، جعلت منه ذلك الرجل الشجاع والفنان والرسام الماهر الذي يمشي على منظور واحد لا يتغير وهو الدفاع عن الأصالة العربية الإسلامية ومهاجمة كل من يحاول تشويهها والاعتزاز بالماضي العربي العريق الذي هو الوجه الحقيقي للإمتداد الحضاري العميق والذي يشمل كل المعارف الإنسانية علماً وأدباً، فلسفة، وفناً.

الفصل الثاني

النشاطات الصحفية

و الفنية لعمر راسم

عرفت الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر جمودا فكريا فظيعا،الذي أدى إلى تقلص الثقافة العربية الإسلامية وضعفها وانتشار الجهل والفقر التي تشمل كل الجوانب الفكرية والتي ندكر منها الفنون والصحافة اللذان يمثلان الوسيلة الأنجح للإصلاح حيث أن الصحافة اهم ما تميز به عمر راسم المصلح الثائر،غير أن هذه الوسائل الإصلاحية كانت على وشك الانهيار وذلك نتيجة للجمود الفكري الذي تسبب فيه الإحتلال الفرنسي فسعى عمر راسم من خلال جرائده وفنونه والموسيقى الأندلسية على ردع وإفشال مساعي الإحتلال الفرنسي.

ومنه سنتطرق في هذا الفصل إلى النشاطات الفنية والصحفية لعمر راسم، بحيث نتناول في المبحث الأول النشاطات الصحفية لعمر راسم وسنتطرق في المطلب الأول إلى جريدة ذو الفقار، أما في المطلب الثاني نتطرق إلى جريدة الجزائر.

أما في المبحث الثاني فنتناول النشاطات الفنية لعمر راسم فتطرقنا في المطلب الأول إلى عمر راسم والخط العربي، أما في المطلب الثاني تطرقنا إلى عمر راسم والموسيقى الأندلسية.

–

المبحث الأول: النشاطات الصحفية لعمر راسم .

بالرغم من الواقع الإستعماري الذي فرض على الجزائرين إجراءات تعسفية، بل تعدى إلى عزل الجزائر على العالمين العربي والإسلامي، ومع تواجد الصعوبات القاسية إلا أن هذا لم يحل بدون إطلاع الجزائرين على الإنتاج الفكري الإسلامي من خلال الصحف العربية المشرقية .

ومن أهم هذه الصحف التي كانت تصل إلى الجزائر صحف ناطقة بالعربية مثل (الجزائر،الأيام،البيان، المنار، النور، الإسلام، الأهرام من مصر الشقيقة)، إضافة إلى هدية الأخوة وصدى الإسلام من بغداد، ولم تكن من النيويورك، ساوانباول (البرازيل) مثل صحيفة البيان، إضافة إلى صحيفة الأمة العربية، كما نجد كذلك جرائد أخرى مثل (المؤيد)، (المهاجر)، والتي كانت ستنكر بإسم الجامعة الإسلامية المتحمسة للحكم الفرنسي الذي قاد الجزائر إلى العبودية، فكانت جريدة المبشر الرسمية هي أول جريدة صادرة باللغة العربية وذلك في سنة 1848م، بحيث انها كانت تتناول مواضيع حول الشريعة الإسلامية وتقوم بنشر النصوص الخاصة بها وكذلك الأوامر والبيانات الحكومية، كما للصحافة العربية دوراً إيجابياً في إنهاض الفكر والشعور الوطني الجزائري، والعمل على توعية الشعب فبعد ظهورها مباشرةً في الجزائر، أصبح لها شأن ومكانة مثلها مثل الأقطار العربية، فقبل نهاية القرن التاسع عشر كان هذا ما تناولته جريدة المبشر التي صدرت في 1847/09/15م، وهي ثالث صحيفة برزت باللغة العربية في العالم العربي فيقول الأستاذ مراد (إن النقطة الحقيقية للإنطلاقية الصحافة الإسلامية في الجزائر تتحد في عتبة الحرب العالمية الأولى، والتي كانت سنة 1912-1914م.[1]

ومع نهاية القرن التاسع عشر أصدر سليمان سمر جريدة (الحق) بعنابة سنة 1893م، باللغتين الفرنسية والعربية التي بعدها مباشرة بدأت الجرائد بالظهور في الجزائد سنة 1908م، وذلك بإصدار عمر راسم وعمر بن قدور جريدة الفاروق 1913م، لكي يعاود عمر راسم إصدار جريدة أخرى في نفس العام وأسمها أيضاً (الفاروق)، بعدما أوقفوا له جريدته الأولى،[2] وبعد بداية القرن العشرين بدأت الصحافة العربية بالظهور بشكل متتالي بفضل كل من عمر راسم وعمر بن قدور، مستثمرة

[1]-د-مُحَّد ناصر: شخصيات جزائرية، المج2، عالم المعرفة، الجزائر، ص62.

2-المرجع السابق،ص64..

أجواء الحرب العالمية الأولى، وهي من أهم العوامل التي ساهمت في إظهار الصحف العربية في الجزائر[1].

تأثير الصحافة العربية في الجزائر.

أثر الصحافة العربية الوافدة في كل من تونس والمغرب.

الجو السياسي والإجتماعي الداخلي والخارجي .

صدور قانون 1919/02/4م، الذي منح حرية الصحافة في الجزائر.

تولى موريس فيوليت الإشتراكي منصب الحاكم العام في الجزائر من1925-1927م.

عرفت الجزائر في هذه الفترة بعض التحقيق فأصدرت الكثير من الصحف العربية.[2]

المطلب الأول: جريدة ذو الفقار.

كانت هذه الجرائد تتلقى في رفضها لسياسة فرنسا الثقافية في الجزائر القائمة على محاربة الإسلام والعربية، وما يربط الجزائرين بتاريخهم ودينهم، وكما قامت هذه الجرائد بالدعوة إلى ضرورة النهضة وتهيئة الشعب الجزائري ليتحمل مسؤولية مواكبة حركة النهضة العربية، وترسيخ الهوية الثقافية والأدبية الجزائرية فاستطاعت هذه الصحف أن تشكل الجبهة الوطنية التي تعرقل مسار وحركة مشروع الفرنسين الشامل، وذلك بفضل بعض الجهات ندكر منها الجمعية التوفيقية ونادي صالح باي لممارسة نوع معتبر من تنشيط الحياة السياسية الجزائرية، ولقد توفرت كذلك لدى الشعب الجزائري[3].

فاكتشفت الجزائر نفسها بولادة النهضة التي هيأت للإسلام الجزائري، من أجل التجديد والارتقاء، وهذا ما نتج بعد تغير الجزائرين لطريقة الصراع الحضاري ضد المستعمر الفرنسي الذي كان يمارس شتى أنواع التعذيب والقوانين الجائرة في حق الجزائريين، نذكر من بينهم قانون التجنيد الإجباري فيفري 1912م، قانون الطوارئ والرقابة.

---

[1] خير الدين شترة :الطلبة الجزائرين بجامع الزيتونة، 1900-1956م، ج1، دار البصائر، 2003، ص84.

[2] مساهمة أعلام واد سوف في تأسيس الصحافة الإصلاحية في الجزائر 1925-1940م، مجلة دورية محكمة، ص ص 168-169.

[3] الجيلاني ضيف : بناة المجد عمر راسم، دار الخليلة العلمية، الجزائر، 2013م، ص ص 64،66.

ولكن بالرغم من هذه المعاناة إلا أن الأمل قد زرع في الجزائرين وذلك لوجود مجموعة من رواد النهضة الإصلاحية الذين قاموا بالتعليم والتأليف و الإصلاح الديني من بينهم(مصطفى بن خوجة، الدكتور مُحَمَّد بن أبي شنب، عمر راسم...الخ).

ونجد هناك تأثيرات في الحركة النهضوية الإصلاحية في المشرق العربي إلى جانب الجامعة الإسلامية، وقد وصلت إلى الجزائر مطلع القرن العشرين التي تحث على العقل والدين، ومن بين روادها جمال الدين الأفغاني مُحَمَّد عبده، وآخرون .

بعد وصول مُحَمَّد عبده إلى الجزائر 1903م ترك أثراً كبيراً في الجزائر خاصة تلمسان، قسنطينة، الجزائر، كما شكلوا بعض الأعضاء تياراً سمي بحزب مُحَمَّد عبده، فتأثر عمر راسم بمحمد عبده وذلك من خلال تأسيسه لجرائده على نهجه كجريدتي ذو الفقار 1913-1914م وجريدة الفاروق1914م.

جريدة ذو الفقار تعود تسميتها إلى الإمام على يد أبي طالب ﷺ،كما يؤكد أغلب المؤرخين بأن الفضل في إنشاء جريدة ذو الفقار يعود إلى الشيخ ابي اليقظان[1]والأستاد عمر راسم لأن كلاهما راهنوا على أن الصحافة وسيلة للإصلاح ونشر الوعي بين أفراد الشعب، ففي 5 أكتوبر 1913م أصدر هذه الجريدة وهي جريدة عربية رائدة ، جريدة عمومية اشتراكية، انتقاضية فهي غير تابعة للسلطة الحاكمة بل هي ملك للجزائريين وكانت تحث على العيش الكريم و العدالة وهي ضد سحق حرية الفرد، كما جاء في كتاب أبو القاسم سعد الله (...مند 1908م أنشأ عمر راسم [2]صحيفته ولقد وصفتها مجلة العالم الإسلامي بأنها جريدة بالعربية وتربوية...تختار من الأخبار كل مايهم المسلمين الجزائريين، أو الذين يزورون الجزائر منهم...).

كما كنت تحث على مايلي:

1-ذو الفقار أسست لنصرة السنة المحمدية ومقاومة البدع الشيطانية التي أوقعت المسلمين في المهالك.

[1]الشيخ أبي اليقظان:هو حمدي إبراهيم عيسى ، ولد يوم الإثنين 5 نوفمبر 1888م بالقرارة لقب نفسه بأبي اليقظان نسبة إلى الإمام الرستمي الخامس أبي اليقظان بن أفلح بن عبد الرحمن بن رستم.للمزيد أنظر إلى خيري الرزقي:الشيخ أبو اليقظان ومواجهة السياسة الفرنسية في الجزائر 1926-1938م، المجلة التاريخية الجزائرية، المسيلة، ص89.

[2]عمر بن قدور ولد بالعاصمة حوالي 1896م أثناء مرحلة جدباه من حياة الجزائر، وهي تمثل حكم لويس تيرمان الجابي للمستوطنين والظالم للجزائري . للمزيد أنظر تاريخ الجزائر الثقافي، ج5،لأبو القاسم سعد الله، ص276.

2-ذو الفقار يبارز الأغنياء المقصرين الذين يريدون أن يجعلوا مخلوقات الله والكون منافع لهم.

3-ذو الفقار تنهي وتجدر فمن تاب وعمل صالحاً فله الشكر والجزاء الحسن.

ومن عجائب الأمور وما يثبت لنا إخلاص عمر راسم على أنه كان يتحمل عبئ تحرير فصولها وتصويرها وطبعها على المطبعة الحجرية وتوزيعها .

ولقد أوقفت من طرف السلطات الإستعمارية لأنها لم تكن مرضية من طرف فرنسا واليهود لسياستها الدينية في الجزائر ، ومحاربتها لأنها كانت تحاول هذه الجريدة بضرورة الدعوة إلى النهضة وتهيئة الشعب لتحمل المسؤولية ومواكبة حركة النهضة العربية، وترسيخ الهوية الثقافية الأدبية الجزائرية، يريدون أن يجعلوا مخلوقات الله والكون منافع لهم.

ومن عجائب الأمور وما يثبت لنا إخلاص عمر راسم على أنه كان يتحمل عبئ تحرير فصولها وتصويرها وطبعها على المطبعة الحجرية وتوزيعها .

ولقد أوقفت من طرف السلطات الإستعمارية لأنها لم تكن مرضية من طرف فرنسا واليهود لسياستها الدينية في الجزائر ، ومحاربتها لأنها كانت تحاول هذه الجريدة بضرورة الدعوة إلى النهضة وتهيئة الشعب لتحمل المسؤولية ومواكبة حركة النهضة العربية،[1] وترسيخ الهوية الثقافية الأدبية الجزائرية، فاستطاعت هذه الصحف أن تشكل الجبهة الوطنية التي تعرقل مسار وحركة المشروع الفرنسي الشامل وذلك بفضل بعض الجهات نذكر منها الجمعية التوفيقية، ونادي صالح باي لممارسة نوع معتبر من تنشيط الحياة السياسية الجزائرية، ولقد توفرت كذلك لدى الشعب الجزائري القيادة الراعية التي تحمل مشروعاً وطنياً واضح المعالم، ووجد تجاوب كبير من قبل فئات من المجتمع الجزائري.[2]

هذا الجانب الإصلاحي الناجح في مطلع القرن العشرين أدى إلى نشاط الصحف العربية التي ظهرت في هذه الفترة[3] فكذلك يقول عمر راسم في جريدة ذو الفقار (أنشئت ذو الفقار للدفاع عن[4] السنة المحمدية ومحاربة البدع الشيطانية التي أدت إلى هلاك المسلمين والمسلمات، إن جريدة ذو

1-محمد صالح ناصر: عمر راسم المصلح الثائر، مزيدة، منقحة، ط2،الجزائر،ص ص 106،107.

2-المرجع نفسه، ص 108.

الفقار تتبع نزعة مُحَمَّد، ولن تحيد عن السبيل الذي رسمها لها المصلحون الحقيقيون، وتلتزم مبدئياً بالابتعاد عن السياسة التي تحول الخير إلى الشر).

تحتوي جريدة (ذوالفقار) على أربعة أعداد فقط الذي أجاب فيها أصدقاءه الذين نصحوه بالتخفيف من حدة لهجته، بأنه اتقى الشر بجعل الجريدة تحت إسم عالميين أحدهما فرنسي وهو هنري الرشفور، والثاني عربي وهو مُحَمَّد عبده.

المطلب الثاني: جريدة الجزائر.

مند 1908م، أنشأ عمر راسم صحيفة باسمه وهي (الجزائر)، وقد وصفتها مجلة العالم الإسلامي بأنها جريدة بالعربية علمية أدبية وتربوية،[1] وقالت جماعة قامت بإنشائها لتثقيف وتهديب الجزائرين وإنها جريدة دينية بالدرجة الاولى ومن جهة أخرى قالت إن (الجزائر) تختار من الأخبار كل مايهم المسلمين الجزائرين أو الذين يزورون الجزائر منهم، وكان الحديث عنها نوعاً من الإعلان، لأن الجريدة طلبت من كل ذوي النوايا الحسنة بالمجلات الإعلان عنها والتبادل معها والتعريف بها، ورغم ذلك فإن (الجزائر) لم تعش إلا ثلاثة أو أربعة أعداد ، ويرجع اختفاؤها إلى عدة أسباب مالية حسب الجلالي والمدني.[2]

[1]- الجيلاني ضيف ، المرجع السابق ، ص63.

2- مُحَمَّد ناصر ، عمر راسم المصلح الثائر، المرجع السابق ، ص19.

المبحث الثاني: النشاطات الفنية لعمر راسم.

المطلب الأول: عمر راسم و الخط العربي.

إن الفنون الجميلة هي عنوان تمدن الأمم، والدليل على ما بلغته من درجة في النمو الروحاني، لأنه السبب والسبيل إلى حب الفن، غير أن الفن يتناقض مع الغابات المتهافتة التي تفسد الذوق والإتقان.

فلقد كان عمر راسم عاشقاً لفنه فلقد كان يعتقد بأن الفن رسماً أو خطاً هو فن لاصنعة، وأصالة لا تقليد، وكذلك إبداع لا تهريج.

ويستلزم على الفنان عمر رسم أن يكون صاحب رسالة إنسانية حضارية، وعليه أن يعتبر نفسه جندياً مجنداً لخدمة تراثه الذي يمثل تاريخ أمة ودوره في هذا لا يتمثل فيما يقدمه من إبداع بل يقوم به في توصيل هذا الفن إلى غيره .[1]

وفن بلا رسالة أو هدف لا يعد شيئاً عند راسم وذلك لعدم استفادة الوطن منه والأمة، ولذا فليس كل من خط حرفاً يسمى خطاطاً، أو رسم لوحة يدعى فناناً لأن العبرة في هذا المجال هي في الأصالة قبل كل شيء، ومن هنا كذلك يسقط من عيني راسم كل من يعمل عمل ولا يجسد بصمات أصابعه ولا يبرز خصائص انتمائه الحضاري، سواء كان مصوراً أم موسيقياً أم شاعراً لأنه يعتبر التقليد من مظاهر الجهل والضعف والبلادة، وأن المقلد لن يضيف إلى الفن شيء، ومن المحال أن يبلغ المقلد درجة المجتهد، ولن ينال شهرة مثل من سبقه حتى لو اتقن تقليده.

ويتمثل دور الفنان في الحفاظ على التراث العربي الإسلامي الذي كان المستعمر الفرنسي في تشويهه ومسخه، من وراء غزو فكري شامل، واستلاب ثقافي ليتسلسل إلى جميع مجالات المعرفة،[2] كما يعبر راسم عن هذه الحقيقة ذات البعد السياسي بإفراغها في قالب ثقافي فني حيث يقول (ومن فقد شخصيته فهو كمن ضيع همته رخصت قيمته ...فما هو إلا كالماشي وراء القافلة ليلتقط ماعسى يسقط من فضلات أصحابها، كفاه بذلك بؤساً و مذلة...والإنسان ابن الطبيعة، فإن شخصيته

[1]- مُحَمَّد صالح ناصر: المرجع السابق،ص21.

[2]- المرجع نفسه،ص22.

وأذواقه وميوله هي من ثمرات الوسط تباعد عنها تقليداً لغيره أو تملقاً، فكأنه عصى نواميس طبيعته وأصله فيسمى مارقاً (ذيزرتور) أي الفار من الواجب .[1]

إن حب راسم للفن والزخرفة جعلته يكتب عنه المقالات المتعددة ناظراً اليه من كل الجوانب، مبيناً العلاقة بينه وبين العلوم الإنسانية الأخرى، وضرورته للإنسان، بل ودوره الإيجابي في تكوين الانسان تكويناً فاضلاً، ولقد جسد راسم ذلك في قوله (إن صورة واحدة تسحر الألباب، وتفتح البصائر ، وتكون قدوة للرجال في جليل الأعمال، وسمو المدارك في سائل الأجيال).

لقد تمكن عمر راسم من تعلم النحو العربي على يد الشيخ الكمال بن الخوجة رحمه الله[2]، وهو في سن الثانية عشرة من عمره واشتهر بجمال وجودة وحسن خطه، ولقد امتلك مهارات عالية في الكتابة، وكان جميع من رأى كتاباته يشده سحر الرسم والإبداع في كتابة الحرف العربي، كما أن دراسته للفن مكنته من تأسيس مدرسة الفنون الزخرفية والمنمنمات الإسلامية وهذا بمساعدة أخوه مُحَمَّد راسم والذي كان موقعها في بابا الجديد بالعاصمة محدداً مهامها في حمل مشعل إحياء التراث الجزائري الإسلامي والتصدي للأهداف الإستعمارية الباغضة.

اهتم عمر راسم بالفنون وكرس حياته الفنية والإبداعية لخدمة هذا الجانب المهم في الحياة الجزائرية وكانت مدرسته محجة للفنون والمواهب الفنية الجزائرية وكذلك كيفية إعداد الفنان الجزائري روحياً ووطنياً، كما كان السيد عمر راسم يمتلك الشجاعة لكي يثبت بأن الفن رسالة سامية والفنان مهماً مهما كان فنه، كما يجب عليه أن يتطلع على مهام شعبه وأن لا يكون بعيداً عليه، فبفضل قراءته الواعية ومواكبته للحركة الفكرية والإصلاحية الذي شهدها العالم العربي استطاع أن يوازن بين الفن والفكر والثقافة، كما كانت أعمال عمر راسم الفنية آيات تنطق بما يريد أن يعبر عنه بالريشة واللون، آيات من الإبداع والأصالة تحمل أكثر من رسالة وترمي إلى تحقيق الأهداف السامية للفن الجزائري.
فوقفت لوحاته وزخارفه في وجه ماقدمه فنانوا الإحتلال الفرنسي، وهذا ما دفع بعمر راسم ليكون واحداً من أوائل الرسامين الوطنين الجزائريين الذين أعادو للفن رسالته ومعناه بعدما كان منضور

1ضيف الجيلاني: المرجع السابق، ص 109.

[2]الشيخ الكمال بن الخوجة: هو مُحَمَّد بن مصطفى بن الخوجة (الكمال) 1865-1915م هو أحد أعضاء الحركة الإصلاحية المتأثرة بأفكار الإمامين الشيخ جمال الدين ومُحَمَّد عبده وهو من الذين لازموا الشيخ مُحَمَّد عبده طيلة إقامته بالجزائر العاصمة 1903م.للمزيد انظر إلى كتاب تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمن بن مُحَمَّد الجيلالي ص 448.

البعض بأنه رفاهية و مكسباً للمال، فتحتل أعمال عمر راسم المراتب الأولى والريادة في مجال الفنون وخاصة فن المنمنمات.[1]

المطلب الثاني: عمر راسم والموسيقى الأندلسية

الفن الموسيقي هو سلطان الطبيعة المسيطر على الارواح، وقد تفننت الأمم في الحانة ونغماته، واخترعت منها بحسب امياالها وصبغة تعاليمها، وطبيعة بلادها ودرجة شعورها وتقدمها في الحضارة.
وممن نبغ في هذا الفن الجليل أمة الاندلس العربية التي بلغت فيه درجة من السمو جعلت ملوك أروبا في ذلك العهد تتنافس في أحراز موسيقى أو ملحن اندلسي عربي يزين مجالسها ويكون لها فخراً.
ولما قضت الأقدار فتشتت الأمة الاندلسية في بلدان شمال افريقيا نشرت تعليمها الفنية بها لما وجدت فيها من الأوساط المتهيئة بالطبع لقبول تمدن الأندلس الزاهر، فنال كل من المغرب الأقصى و الجزائر وتونس أوفر حظ من ذلك وانتشرت الموسيقى الاندلسية فيها جميعاً.[2]

وقد حدث لهذه الموسيقى في وطنها الجديد مالم يكن منه أبداً، فوقع مع طول المدة تحريف في نغماتها وتغيير تراتبها ونظاماتها المحكمة، وتغلب عليها الدخيل البلدي فامتزجت بطبيعة الحال بما غير طرقها الفنية ولاسيما في المغرب الأقصى وتونس، اذ تطورت في هاتين البلدين طبق طباع اهلها كما وقع في وقتنا الحاضر تحريف وتغيير في الالحان والنغمات العربية وفي مصر بامتزاجها بالألحان البدوية ...بالأوروبية أو الامريكية والعياد بالله من الهجانة و المسخ، أما بلاد الجزائر خاصة عاصمتها المحمية بالله فإنها بطبيعة حالها وتقليد أهلها للفن تقليداً دينياً لم تحرف ولم تغير حرفاً ولا صوتاً عما ورثته عن المهاجرين الاندلسين، بل نقلت عنهم الحانهم ونغماتهم وأناشيدهم نقلاً متيناً كما رويت أسانيد الحديث الشريف، وقد كانت الجزائر في إبان شبابها وأيام سطوتها ورفاهيتها غرناطة افريقيا الشمالية[3].[4]

وليس من المبالغة أن نقول ما بقى إلى الان بها من اثار تلك الالحان والاناشيد والموشحات هو على قلته صورة صادقة بدون شك مما كانت تتغنى به غرناطة واشبيلية ومالقه وطليطلة وغيرها، وذلك من سبيل رواية التواتر الصحيح وشاهد على ذلك إني سمعت في غضون مايزيد على خمسين سنة ومن

[1]- ا.د مُحَمَّد صالح ناصر: المرجع السابق، ص 57.
[2]- الجيلاني ضيف، المرجع السابق،ص40.
3- الجيلاني ضيف، المرجع السابق،ص41.

أجيال متتابعة عدة أشغال أندلسية لم أقف فيما سمعت منها على فرق واحد ولو في مد أو قصر بين من عرف من معلم ومتعلم، ومن أخطأ في نداء أو زاد نصف نقطة في غير محلها عد ذلك عليه نقصاً يسفه به عند أهل الفن.

ذلك أن الموسيقى الاندلسية مثبتة على قواعد العلم في مناسبة أصواتها وارتباط بعضها ببعض، وقد جعلت فيها الأصوات المطلقة والممتزجة مركبة من (نوبات) مرتبة على قواعد الإنشاء : الاستهلال ثم مقصود ثم خاتمة والنوبة تبتدئ ب (التشوية) ضرباً من دون غناء و(الكريس) مثلها وهما مفتاحاً الآلة ويكونان على نقر الوتر ثم يجهر (بالمصدر) ثقيلاً ويليه (البطايحي) اثقل منه في الغالب ويليهما (الدرج) وهو أخف منهما ثم يأتي (الانصراف) خفيفاً ثم (الخلاص) أخف .

وقد يزيدون على ذلك (الانقلابات) وواحدها الانقلاب وهو يتبع دائماً (الصياح) أو (الاستخبار) المناسب لصناعة النوبة فإن كانت نوبة (الزيدان) يصيحون زيداناً وإن كانت نوبة السيكة يصيحون أو يستخبرون سيكة ولهم جراً.

ولكل صناعة نوبة أو نوبات .

ويقال أن الشيخ المنمش أستاد مُحَّد سفينجة كان يعرف في الصفة الواحدة عشرات من النوبات بأصواتها، ولا غرابة في ذلك فإني رأيت بعيني ديواناً بخط العالم الجليل أمام الجامع الكبير الشيخ عبد الرحمن الامين جد شيخنا الاستاد قدور الأمين أمام مسجد سيدي عبد الرحمن الثعالبي رحمهم الله جمعاً، فإذا فيه 24 صناعة أو لحناً، ولكن صناعة نوبات كثيرة منها ما تريد (مصادرتها) على العشرين، وقد كان الشيخ عبد الرحمن طيب الله ثراه، يتقن الفن ويحسن تلك النوبات كلها وبذلك كان في عصره رئيس (القصادين) باش قصاد، وهي وظيفة تشريفية كان يقلدها من يتقن الفن ويحسن تأدية تلك النوبات كلها، ويتولى بها إدارة جماعة من (القصادين) الفنانين الذين يتغنون بالأناشيد في مدح خير البرية أيام المولد النبوي الشريف في المساجد والأضرحة والزوايا.[1]

إلا أن الذي يؤسف له كل الأسف أن هذا الديوان الذي ذكرته قد ضاع ... كما في بلادنا كما كان ينبغي لها أن تفاخر به، ولاحول و لا قوة الابالله العلي العظيم، ولم يبق لنا في هذا الباب إلا القليل، لكن هذا القليل الذي بقي لدينا أصح مما بقي عند إخواننا المغاربة والتونسيون (كذا) وكذلك

1- هنا الجزائر، ع،29.

التلمسانيون (كذا) لأن في نطقهم رقة تضعف قيمة اللحن الفنية ولأنهم أيضاً اخترعوا زيادة على الأصل أنفاساً غير موافقة في الغالب لميزان الصنعة ونسبة الأصوات.

قد اهتمت الجزائر كلما قلنا بالمحافظة على الوسيقى الاندلسية كما يهتم أهل الحديث بصحة الرواية، فكان ثقات الأمة واتقياؤها وأعيانها، وأدباها.

يتنافسون في حفظها في الصدور واتقانها، واشدهم اهتماماً بها العلماء والشعراء الذين كثيراً ما تنافسوا في انشاء المولديات، وفيها على نظام الأنغام الأندلسيين ويكفينا دليلاً على ذلك أن الذي أدخل الالحان الموسيقية تقيلها وخفيفها حسب القواعد الموسيقية العلمية في الأناشيد والموشحات الجديدة التي تنشد في الزوايا والأضرحة الجزائرية هو الشاعر والعالم الكبير سيدي أحمد بن عمار مفتي السادة المالكية في أوائل القرن الماضي، وكان يشاركه في احتفالاته الانشاد الأئمة والفقهاء، وقد سار الكثير منهم بعده على منواله مثل السيد أحمد بن قبطان أمام الجامع الجديد واستاده الشيخ مُحَمَّد ابن قندورة مفتي السادة الحنفية سابقاً.[1]

وآخر فنان من بقايا السلف العالمين بقواعد الفن هو الشيخ مُحَمَّد سفينجة المتوفي سنة 1908م، وهو تلميذ الشيخ مُحَمَّد المنمش، وكان رحمه الله حسن الصوت وهذا مما يقل وجوده عند الفنانين في الجزائر، وبهذه المناسبة اذكر حديثاً جرى في الشأن عند زيارة الأستاد الامام الشيخ مُحَمَّد عبده الجزائر، وقد أقام له أحد أعيان العاصمة دعوة حضرها فنان ذلك العهد، الشيخ سفينجة فأراد أحد الحاضرين الشيخ مُحَمَّد الكمال بن الخوجة أن يعتذر للإمام عن لحن المغني وتحريفه للعربية فأجاب الأستاد بأن جميع المغنين يلحنون وزاد أنه يستحسن نظام موسيقى الجزائر واثنى على الشيخ سفينجة، وقال أن غناء الجزائر يشابه غناء الأتراك وإنها عنده أحسن بكثير من الغناء المصري، زد على ما قلناه أنه كان يوجد أيضاً مغنيات محترفات يتقن الموسيقى الاندلسية الصحيحة، وخاتمتهن المعلمة أمينة بنت الحاج المهدي رحمها الله.[2]

على أنه لايزال هناك من بنات العائلات الكبرى من يضربن بالقيثارة والرباب والقانون...الخ ومن يرى (كذا) هذا الماضي الزاهر الذي كان يضاهي في أبهته وحسنه الفني عهد اسحاق النديم وابراهيم بن المهدي ويرى الحالة الحاضرة وضياع تلك الاثار الجليلة واستبدالها بتقاليد المنحطين خلقاً

[1]-مُحَمَّد ناصر: المرجع السابق، ص105.

[2]-سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص، 453.

وخلقاً ، للأغاني الأجنبية الفظيعة ونغمات (النواح)، فما أحقه بأن يأخد منه الأسف الشديد على ماصرنا اليه، وما أحقه بأن يمقت أشد المقت هؤلاء المفتخرين بانحطاطهم الفرحين بغرورهم.[1]

يبدو أن راسم حرص على أن يبقى هذا الفن أصيلاً بتقاليده النبيلة مقصداً ورسالة حيث كان يندد بنغمات النواح التي كانت شائعة في البلاد العربية بدعوى التطور والتفتح، ويعبر عن أسفه لما آلت إليه الموسيقى العربية، من انحطاطها واختلاطها بالموسيقى الأجنبية الفظيعة.

الظاهر أن اهتمام راسم بالموسيقى الأندلسية لم يتوقف عند كتابة العديد من المقالات عنها، بل تعداه إلى انخراطه في بعض الفرق الموسيقية، حيث بدأها بالتردد على فرقة الإخوة فخارجي ثم مجالسته لدحمان بن عاشور، وبعدها أصبح يؤلف فيها ويتابع نشاطاته العلمية داخل وخارج الوطن، وتمكن من حضور مؤتمر القاهرة الدولي حول الموسيقى العربية المنعقد في 1032م، كما وجهت له دعوى لزيارة تونس بمناسبة انعقاد مؤتمر الموسيقى العربية عام 1938م، غير أنه اعتذر.[2]

1-سعد الله ابو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي،ج8 ،ص 454.

2-د.محمد صالح ناصر: المرجع السابق، ص ص 105-107.

خلاصة الفصل :

ومن هنا نستطيع القول بأن عمر راسم المصلح الثائر استطاع أن يوازن بين نظرياته الإصلاحية وأفكاره الثورية موازنة موفقة، وجسد فيما أنتجه ذلك الازدواج المفيد بين الثقافة العربية الإسلامية الأصيلة، والثقافة الأجنبية المتفتحة، ولم يغب عن باله قط أن يمثل في كل ما كتب أصالته وعياً وقناعة، فكانت العروبة والإسلام، وكل ما يلتحم بهذه القيم الثلاثة من معاني سامية هدفه الذي كافح عنه ودعا إليه، فلقد كان عمر راسم من رواد الفكر الإصلاحي في الجزائر أعطاه من حرارة قلبه وثبات إيمانه ذلك الصدق وتلك الحرارة التي غدت الطابع الذي تميز كتابات راسم، ومن هنا أيضاً نتأكد بأن الإصلاح والثورة في الجزائر، كانت لهما جذورهما المتينة التي ضربت إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، وإن هذه الجذور كانت تتدفق فيها الدماء من مهج رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

الفصل الثالث

موقف عمر راسم اتجاه بعض القضايا الإجتماعية

إن من أهم الجليات اليهودية في شمال افريقيا يهود الجزائر لأنهم أخدوا وقتاً كبيراً في الجزائر حيث أنهم منذ مجيئهم إلى الجزائر لم يدخلوا بنية جيدة وحسنة، بل كانت جل نواياهم سيئة بالكامل، فلقد اكتشفها عمر راسم وكان يحذر منهم ومن نواياهم الغير حسنة، فلقد كانت له نظرة سيئة اتجاههم وكذلك اتجاه الفساد الأخلاقي، فكان يقابل كل هذه القضايا الإجتماعية الغير الفاضلة بمستوى راقي ومعاذٍ لها كاهتمامه بالتعليم وحثه عليه.

ومنه سنتطرق في هذا الفصل إلى موقف عمر راسم من القضايا الإجتماعية، فنتطرق في المبحث الأول إلى رد فعل عمر راسم من الحركة الصهيونية والفساد الأخلاقي، وكذلك نشير في المطلب الأول إلى موقف عمر راسم من الحركة الصهيونية، وكذلك نشير في الفصل الثاني إلى محاربة عمر راسم للفساد الأخلاقي، بحيث تحدثنا في المبحث الثاني عن اهتمامه وعن وفاته، ومنه تم التطرق في المطلب الاول إلى اهتمام عمر راسم بالتعليم، أما في المطلب الثاني تمة التطرق إلى وفاته رحمه الله.

المبحث الأول: رد فعل عمر راسم من الحركة الصهيونية و الفساد الأخلاقي.

المطلب الأول: موقفه من الحركة الصهيونية.

موقف عمر راسم اتجاه بعض القضايا الإجتماعية لم تقتصر كتابات عمر راسم على الأوضاع الداخلية فحسب بل تجاوزت إلى قضايا الخارجية فيما يتعلق بالوطن العربي من حيث الخطر الذي كان قد واجهه من قبل الصهاينة خاصة أهدافهم في فلسطين، إلى جانب موقف عمر راسم اتجاه التجنيد الإجباري 1912م، وكذلك موقفه من الحركة الوطنية[1].

فلقد كانت له عدة مواقف وردود أفعال اتجاه هذه القضايا التي أثرت فيه و في نفس البشرية ككل. يبلغ عدد اليهود في القطر الجزائري نحواً من مائي ألف نسمة ولقد كانوا يعاملون في القطر الجزائري قبل الإحتلال معاملة أهل الذمة، ويعتبرهم المسلمون جبراناً لهم يرعون عهدهم ويحققون لهم حرية العمل وحرية المعتقد، بل كان اليهود ينالون أحياناً المناصب الرفيعة في الإدارة وخاصةً أيام الجمهورية الجزائرية، العثمانية ودولة الجزائر الحرة العربية، وكان اليهود يلجأون إلى قطر الجزائر كلما تابتهم نائبة في أقطار البحر المتوسط، فمند 320ق-م إلى أيام انهيار الدولة الإسلامية ببلاد الأندلس أواخر القرن الرابع عشر كانت وفود الجزائر ترد على البلاد الجزائرية، فتحل فيها على الرحب والسعة لكن اليهود كانوا يعتبرون أنفسهم جالية مستقلة، فلا يشاركوا في الدفاع عن البلاد، ولا يراعون مصلحة الوطن في معاملاتهم التجارية والإقتصادية،[2] وجاء الإحتلال الفرنسي فعملوا إلى جانبه، واشتغلوا وترجموا وأثروا ثراء عظيماً، وأخدوا في الإستيلاء على مرافق البلاد التجارية، وكانوا لايزالون معتبرين من الأهالي، إلى أن انتصبت الحكومة الثورة سنة 1870م في باريس، وكان من بين أعضائها اليهودي (كريميو) فأعلن فرنسة الحياة العامة الفرنسية انذماجاً تاماً وغيروا أسمائهم وألقابهم، وتصاهروا مع الفرنسين وتغلغلوا في وسط عائلتهم، إلا أن قامت ضدهم المذبحة إلا بأعجوبة، لكنهم عادوا بعد قليل إلى مكانتهم ونفودهم، وإنهم لايزالون يسلكون سياسة اللعب على الجبلين فهم فرنسين إستعماريون غلاة، وإن كانوا مع الفرنسين وهم أبناء البلاد إن كانوا مع المسلمين في تجارة أو معاملة، إلا أن أنهارت فرنسا بصفة مخجلة سنة 1940م، ولم تستطع الثبات في وجه المانيا أكثر من نصف شهر فسلكت حكومتها سياسة الميز العنصري الألمانية ونزعت عن اليهود الجزائر جنسيتهم

[1]-الجيلاني ضيف، المرجع السابق،ص100.

[2]-المرجع السابق، ص 103.

الفرنسية فأصبحوا من جديد أندجين، وحجزت أملاكهم، وأبعدوا عن منابع الثورة، فكثر عندئذٍ تقربهم من المسلمين وأخدوا يذكرونهم بحسن الجوار القديم.

لكن سرعان ما استطاع اليهود استعادة أموالهم ونفوذهم، ومراكزهم وجنسيتهم الفرنسية، وبعدها فاجأتهم سياسة الحياد ولو بصفة ظاهرية فمدت بيدي صغارهم للمسلمين خاصةً في المدن الصغيرة كما مدت بيدي كبارهم للمستعمرين الفرنسين.

وكما نرى أن عمر راسم كان أول كاتب عربي اكتشف حقائق اليهود ونيتهم اتجاه العرب وخطرهم الذي يهدد به العديد من الدول خاصةً دولة فلسطين الشقيقة، وحذر المسلمين من هذا الخطر الفظيع، كما يعد عمر راسم من أهم الكتاب المثقفين الجزائريين والعرب الذين رفعوا لواء المعاداة للحركة الصهيونية .

فلجأ عمر راسم إلى فضح مؤامرات اليهود ودسائسها انطلاقاً مما كتبه في مقالاته عن الأحداث التي وقعت بين اليهود والأوروبين في الجزائر سنة 1898م .[1]

فيتوضح رأي عمر راسم أكثر في جريدة الأمة حيث قام بمهاجمتهم وتحميلهم المسؤولية فيما أصاب العرب من ضعف وانحطاط، إلى جانب تراجع المكانة الإسلامية نتيجة مكائد اليهود ونواياهم السيئة، كما دخل في عدة جمعيات لمحاربة اليهود وردعهم فكان يمتاز بالصرامة والشدة ضدهم.

وكذلك يقول عمر راسم "اليهود أمة قاسية القلب، لا يلذ لها العيش ولا تطيب لها حياة إلا بإذابتها لغيرها فعلاً، فإن لم تستطع فلسنا، ولو أدرت سرداً ما رأيته بعيني، وسمعته بأذني مما يؤذون به أمتي، بل والمستعمرين في بلادي، لما كفتني الأوراق والمحابر، ولما كفتني الأيام التي عشتها مرتين لتسيطر جميعاً، بل ولا بعض مكرهم ومكائدهم التي يقومون بها طبق طباعهم ومبادئهم ...الخ وهذا لا ينكر ولا يمكن رفضه لأن جميع الأحزاب حتى الاشتراكي والفوضوي وغيرهما ما يعترفون بذلك ...الخ وما يهود الجزائر بالنسبة إلى يهود أروبا وأمريكا إلا ضعفاء وفقراء، جهلاء،[2] ومع هذا فإنهم يقومون بما تعجز عنه أكابر السياسيين وذلك لارتباطهم مع أبناء جنسهم المقيمين في البلاد المتمدنة المتكلين عليهم عند الحاجة".[3]

---

[1] المدني توفيق: هذه هي الجزائر،د.ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001م، ص 205.

[2] –المدني توفيق : المرجع نفسه، ص206.

[3] من مقال كتبه عمر راسم في السجن في سنة 1916م، وقد نقلناه عن أصل مخطوط بيدي راسم نفسه.

المطلب الثاني: محاربته للفساد الأخلاقي.

شرع عمر راسم في البحث عن أسباب انحراف المجتمع الجزائري وضعفه وأرجع ذلك الى تشبهه بالأجانب وحب الفخامة، والإعتزاز التي رزقوا به فعمل عمر راسم على استبعادهم نفسياً واجتماعياً الى جانب محاربة البدع والخرافات التي التصاقها بعض المسلمين الذين استحوذ عليهم الجهل، وغلبت عليهم شهواتهم، وجعلوا الدين الحنيف وسيلة يصطدون بها السلاح وينهبون بها الأغرار، حيث كان متشبهاً بأفكار الإمام عبدو إلى درجة اعتباره مديراً دينياً لجريدته ذو الفقار التي وصفها بأنها جريدة عبودية إصلاحية، فقد عمل عمر راسم بكل قواته على توعية الشعب الجزائري وحثه على التمسك بالوحدة الوطنية وعدم الانخداع بأساليب الاستعمار الفرنسي، ولكنه لم يجد الا زيادة في الخمول وطغياناً للمستعمر مما أشعره بالإحباط وكان يقول لا أريد أن أكون مع أناس أعتقد أنهم أعداء الحق والإنسانية والوطن، وكان يشعر أن الأمة والشباب المسلم بحاجة إلى من يهديهم إلى سواء السبيل.[1]
ويبدو أنه تأثر بما راه في المغرب الأقصى عندما زار الرباط من شبيه مباركة تجد في الاصلاح الإسلامي، لكنها كثيراً ما تعلو وتسرف ولينقصهما إلى إمام راشد يرد بها جهاد ويهديهما إلى سواء الصراط، ولكن أثناء محنته في السجن كان يقول (لايوجد عندنا شعب إطلاقاً وانما تراه حولك ليس إلا سائمة ترعى في أرض، أو كما يقول بقر في زرع الله)، ولهذا التفت بالعمل الفني معبراً عن افكاره عن طريق الصحافة خاصة الجرائد التي أسسها كجريدة الجزائر 1908م، وجريدة ذو الفقار 1913م، محاولاً الحفاظ على التراث العربي الفني الإسلامي أمام الموجات الفرنسية بذلك لينقد تراث الأمة للأجيال القادمة وكان يقول الإخلاص لشرق من سيطرة الغرب كذلك اعتماده على قوته يشهد كل ذلك من تاريخه الذهبي .[2]

[1] عمر راسم الفنان الخطاط المزخرف و المصلح الثائر، المرجع السابق، ص ص100، 101.

[2] آمال أمخلاف : عمر راسم حياته و نشاطه(1884-1959م) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، بن نعيمة عبد المجيد، تخصص أعلام الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية(2009-2010م)، ص 62.

المبحث الثاني: اهتمامه بالتعليم و وفاته.

المطلب الأول: اهتمامه بالتعليم.

واجه الشعب الجزائري صعوبة حدة في التعليم من قبل المعمرين الذين يقفون ضد أي مبادرة يمكن أن توجه لإنقاض الثقافة الوطنية و في هذا الصدد صرح الحاكم العام الفرنسي فلورين تيرمان 1882-1891م قائلاً " إن التجربة ذلت على الأهالي الجزائريين الذين أعطيناهم تعليماً كاملاً سوف يطالبون بحقوقهم المهضومة التي طالما عملت السلطات الفرنسية على إخفائها عنهم كل هذه المخاوف جعلتهم يعارضون بشدة تعليم الجزائرين في المدارس الفرنسية، وأن تعليم الجزائرين سيجعلهم أقل طبوعية وطاعة لهم".

وكان التعليم مقتصر على أبناء الطبقة الأستقراطية من أجل الاعتماد عليها كإطارات متوسطة لمساعدتهم في تسير شؤون الجزائرين وكان التخوف من التعليم الجزائري جلياً وزارعاً وظاهراً عند كافة الفرنسين وفي هذا الصدد يقول أحد المسؤولين الفرنسين "إن فتح مدرسة في منطقة أهلة بالسكان الجزائرين لا يقل شأناً عن قيمة فرقة من الجيش لتهدئة البلد".

وكما نجد بعض الفرنسين يدعون على ضرورة تعليم الفرد الجزائري، أي العمل على استثمار عقل الفرد الجزائري لصالحه بهدف السيطرة عليه معنوياً عن طريق نشر الحضارة الفرنسية ومبادئها بدلاً من السيطرة عليه جسدياً عن طريق قوة السلاح.[1]

ولقد عبر الزعيم المصري مُحَّد فريد أثناء زيارته للجزائر عام 1901م عن الوضع الجزائري الذي صار عليه المجتمع الجزائري بقوله" إن حالة التعليم في الجزائر سيئة جداً، ولو استمر الحال على هذا المنوال لحلة اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع المعاملات بل ربما لا تدرس العربية بالمدة مع مضي الزمن، فلا الحكومة تسعى إلى حفضها ولا هي تدع الأهالي يؤلفون الجمعيات لفتح المدارس لمنعها أي اجتماع خوفاً أن تشتعل جمعياتهم بالأمور السياسية وهي حالة تخالف ما عرف به الفرنسي[2] من إنهم رجال العلم و النور و الحرية...الخ، وأصبحت اللغة الفرنسية هي لغة التخاطب في العواصم مثل : وهران، قسنطينة، عنابة وغيرها.[3]

[1]-عمر راسم الفنان المزخرف الخطاط و المصلح الثائر، المرجع نفسه، ص 105.

[2]-المرجع السابق،ص106.

[3] أحمد الخطيب : جمعية العلماء المسلمين الجزائرين و أثارها الإصلاحي في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1985، ص 64.

وهكذا نجد أن الادارة الفرنسية لم تهتم بتطوير التعليم الجزائري ولذلك انتشرت الأمية بشكل كبير في أوساط الأطفال وظلت مرتفعة بنسب رهيبة مع مطلع القرن العشرين ويعود ذلك إلى السياسة التعليمية التي اتبعها الإستعمار الفرنسي فهو لم يخصص ميزانية معتبرة لتعليم الجزائرين .[1]

وهكذا تكون سياسة التعليم في الجزائر منهارة و بالخصوص مع مطلع القرن العشرين رغم وصول "شارل جونار" في بداية القرن العشرين إلى منصب الحاكم العام على الجزائر والمعروف بتشجيعه لإحياء الثقافة المحلية، لكن السياسة التعليمية الفرنسية بقيت كما هي من رفضها لتعليم الجزائرين ومحاصرة المدارس العربية بالقوانين، أهمها قانون 1904/12/26م، فإنه يحظر على كل جزائري أن يفتح ويتولى إدارة مدرسة عربية أو كتاتيب لتعليم القرآن الكريم إلا بترخيص من الإدارة الفرنسية.

تدهور المستوى العلمي العربي تدهوراً كبيراً لما لحق بالمؤسسات التعليمية من دمار وحراب وهجرة العديد من العلماء ولم تعد الجزائر تحظى إلا ببعض المدرسين في المساجد والزوايا في جهات الجنوب بالصحراء الجزائرية.[2]

لذا اهتمت الصحف التي ظهرت مع بداية القرن العشرين بقضية التعليم فانتشرت مقالات لطائفة النخبة خاصة في جريدتي المغرب سنة 1903م والمصباح سنة 1904م، وجميعها ضرورة التعليم كمقالات ابن الموهوب وعبد الحليم ابن سماية وغيرهم، لنلتقي بهذا الصدد بعمر راسم الكاتب الثائر في أفكاره الجريئة التي تعد انتحاراً ومجازفة بالحياة في تلك العصور المظلمة، وفي نظرته التي علل بها دعوته إلى التعليم يرى أن العلم وسيلة لتوعية وتفتيح أعين المسلمين الجزائرين على حقيقة واقعهم المرير، ويريده أداة اعتزاز توقظ أحاسيس الوطنية بين الحوائج فتمرد على الظلم والظالمين حيث يقول" أجل يجب أن نتعلم لكي نشعر بأننا ضعفاء ويجب أن نتعلم لكي تعلم كيف نرفع أصواتنا في وجه الظلم...الخ.

ومن خلال هذا نجد أن عمر راسم يهدف إلى أمرين هامين هما تحقيق التقارب والتكافل وزرع اللهجة بين الجزائرين من أجل تحقيق مبدأ التشارك، أما الهدف الثاني الذي كان يسعى له فهو عدم

[1] عبد القادر علوش : سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر(1870-1914م)، شركة الامة للطباعة والنشر، الجزائر، 1999، ص 97.

[2] ناهد ابراهيم الدوسقي: دراسات في تاريخ الجزائر، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 2001م.

الاعتداء على المدارس التي أنشأتها الإدارة الإستعمارية خلال تلك الفترة لأنها كانت تحصر اللغة العربية، وتقيد التعليم العربي الإسلامي بما يتماشى مع أهدافها، نتيجة ذلك أدرك الجزائريون حالتهم المزرية والمأسوية التي أصبحوا عليها نتيجة السياسة المطبقة عليهم من التخلف والسلاح والدين والوطن فقال في هذا الأمر يدعوا بحرارة إلى أن يعتمد المسلمون الجزائريون على أنفسهم في تعليم أبنائهم، مثل اعتزازه بالإسلام وافتخاره بلغته، حيث حارب الفئة الفرنسية والتي تخلت عن دينها ولغتها وما تركها أجددها بحجة أن اللغة العربية ليست لغة علوم ومعارف، لذلك ثار عمر راسم في وجه هذه الفئة فقال " ظنوا أن العلوم إلا باللغة التي تمدن العالم وبها سعدت الأمة وترقت...الحق علينا أن لا نتكل على غيرنا وأن لا نهمل لغة أجدادنا وتعاليم ديننا وإلا سنموت موتت الجاهلية".[1]

المطلب الثاني: وفاته.

تعرض عمر راسم في آخر حياته نتيجة لسجنه والتعذيب الذي تلقاه من حالة نفسية بسبب الخيبة والاضطراب الذي جعله يفقده الثقة في الناس، وينعزل عنهم وتحول نفسه الودودة إلى شخص سريع الغضب ويثور بسرعة وميوله إلى الوحدة والحزن واليأس الذي جعله يوقع خطاباته بتواقيع غريبة كاليأس، واحد من هؤلاء الناس الذين لقوا العذاب الواجب وعاش كما يقول العرب في مثلهم السائر ساغياً لاغياً.[2]

هذا الذي قضي جل حياته في الدفاع عن توابت شخصية الجزائر والجزائريون ومحاربة الظلم والإستعمار توفي وحيداً مريضاً لا زوجة ترعاه ولا ولد يؤنس وحدته، حيث وفته المنية يوم الجمعة 13 فيفري 1959م، عن عمر يناهز 75سنة قبل أن يتحقق حلمه في استقلال وطنه الذي طالما استفاضة بقلمه وخطاباته حيث كانت البلاد كلها ثورة عارمة ضد المحتل وكانت تباشير النصر تلوح في الأفق،[3] دفن رحمه الله بمقبرة سيدي عبد الرحمان الثعالبي بالعاصمة وشيعت جنازته وسط جمهور كبير من معارفه والمعجبين وفنه ونضاله رحمة الله واسكنه فسيح جنانه .[4]

---

[1] سهام بن عباس، حبيبة منصوري: عمر راسم ونضاله الوطني و القومي (1884-1959م)، مذكرة ماستر، سليم أوفة، (2016-2017م)،ص 69.

[2] الذكرى الخمسون لوفاة عمر راسم، مُحَّد الهادي الحسين 2009/02/11م.

[3] -الجيلاني ضيف،المرجع السابق،ص109.

[4] - سهام بن عباس، حبيبة بن منصور، المرجع السابق، 72.

خلاصة الفصل :

من الملاحظ أن عمر راسم كان على ذارية بنوايا الصهاينة الخبيثة في الجزائر، وكان معارضاً لتواجدهم وحذر منهم ومن خطرهم، بالإضافة إلى محاربته للفساد الأخلاقي الذي كان يسود في ذلك الحين عن طريق البدع والخرافات التي الصقها بعض المسلمين الذي استحوذ عليهم الجهل وغلبت عليهم شهواتهم، كما أنه عمل على الاهتمام بالتعليم لأنه كان في مرحلة الانحطاط في الجزائر، لأن الجزائريين لم يتلقوا التعليم كما ينبغي حتي كان التعليم باللغة الفرنسية التي كنت تعتبر اللغة الرئيسية المعتمدة أما اللغة العربية فلقد كانت هي اللغة الثانية في البلاد، لكن مع الأسف توفي هذا الأخير وهو في معاناة مع المرض الذي كان يعاني منه رحمة الله عليه.

خاتمـــــة

خاتمة

عرفت الجزائر نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ظهور تيارات إصلاحية فكرية ودينية، وربما سياسية قادها مجموعة من المثقفين عرفوا بالشبان الجزائرية أو جماعة النخبة إلا أن هذه التيارات الإصلاحية لم ترق إلى مستوى النضال.

وصفوة القول فإن أهم ما يمكن الإشارة إليه، هو إخلاص عمر راسم لمشروعه النهضوي الذي استهله بسيف علي، رمز الريشة والقلم اللذان صخرهما المناضل الفذ في تمرير مشروعه النهضوي جنباً إلى جنب، فعلى الرغم من تشتت تركيزه الفكري بين التأليف، البحث، والعمل الصحفي، والتوعية والنصح والإرشاد، وتدبر العيش في آنٍ واحد، لم يصرفه عناء كل ذلك عن تخصيص أعماله الفنية بكل ما تحتاج إليه من وقت، وصبر، وعناية فائقة ويخرجها للعيان في ثوب فني ساحر، استحق من ورائها تبوأ صدارة ركب الفنانين الجزائرين المعاصرين في مجال فن الخط والمنمنمات عن جدارة واستحقاق.

نحن أمام أحد رجال الفكر الإصلاحي الذين تأثروا بالثقافة العربية وتراثها العريق، وبنهضتها الحديثة في شتى الميادين الثقافية والأدبية والفكرية، فعمر راسم من النوع الذي اهتم بالفكرة وتوصيليها بأسلوب صريح مباشر، وباهتمام باللغة من حيث مفرداتها ومن حيث أصالتها، وقدرتها على تبليغ الأفكار، بل والعناية ببعض خصائص الأساليب العربية والبيان العربي، دون اهتمام كبير بجمال التعبير وصياغته صياغة أدبية.

قائمة المراجع

I قائمة المراجع:

-أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر.

-أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

-أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، دار الرائدة.

-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار الغرب الإسلامي، (1830-1950م)، ط1.

-عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، (1931-1945م)، ط1، دار البعث، 1981.

-خير الدين شترة: الطلبة الجزائرين بجامع الزيتونة، (1900-1956م)، ج1، دار البصائر، 2003م.

-أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، د.ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001م.

منشورات مخبر البناء الحضري للمغرب الأوسط الجزائر إلى نهاية العهد العثماني: عمر راسم الفنان الخطاط المزخرف و المصلح الثائر، العهد العثماني، الجزائر.

-الجيلاني ضيف: بناة المجد عمر راسم، دار الخليلية العلمية، الجزائر، 2013م.

-أبو عمران الشيخ و فريق من الأساتذة، معجم المشاهير المغاربة، منشورات دطب.

-مُحَمَّد صالح ناصر: عمر راسم المصلح الثائر، مزيدة، منقحة، ط2، الجزائر، 2013م.

-عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي1997م، ط1، بيروت.

-ناصر الدين سعيدوني: الجزائر منطلقات و أفاق من خلال قضايا و مفاهيم تاريخية، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2000م.

-العربي الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر، منشورات اتحاد العرب، 1999م.

-عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام،ج4، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

-خيري الرزقي: الشيخ أبو اليقظان و مواجهة السياسة الفرنسية في الجزائر، (1926-1938م)، المجلة التاريخية الجزائرية، المسيلة.

-أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و أثرها الإصلاحي في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1985م.

-ناهد إبراهيم الدوسقي: دراسات في تاريخ الجزائر منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، 2001م.

-عبد القادر حلوش: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر(1870-1914م)، شركة الأمة للطباعة و النشر، الجزائر، 1999م.

II - المقالات و المجلات :

-مساهمة أعلام واد سوف في تأسيس الصحافة الإصلاحية في الجزائر، (1925-1940م)، مجلة دورية محكمة.

-د.نفيسة رويدة: موقف عمر راسم من الحركة الصهيونية (1908-1916م).

-زهير أحدادن: عمر راسم صحفي و رسام.

-عميراوي حميدة: عمر راسم و خطاب الحركة الوطنية الجزائرية.

-الذكرى الخمسون لوفاة عمر راسم: مُحَّد الهادي الحسين2009/02/11م.

III - الأطروحات و الرسائل الجامعية.

-آمال أمخلاف: عمر راسم حياته و نشاطه (1884-1959م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، بن نعيمة عبد المجيد، تخصص أعلام الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية، (2009-2010م).

-سهام عباس، حبيبة منصوري: عمر راسم نضاله الوطني و القومي (1884-1959م).

-نجاة شنتير: الواقع الإجتماعي و الثقافة في الجزائر من خلال جريدة البصائر الجزائرية (1937-1956م).

-مازوري صليحة: دور الصحافة الجزائرية إبان الثورة التحريرية(1925-1927م).

الملاحـــــق

1- آلبير كاميس. 2- عبد الرحمن الجيلالي. 3- عمر راسم.
4- الحاج حمو «فكري» «حوالي 1945».

1

[1]- أ.د محمد صالح ناصر : عمر راسم المصلح الثائر ، الجزائر ، ط2، ص185.

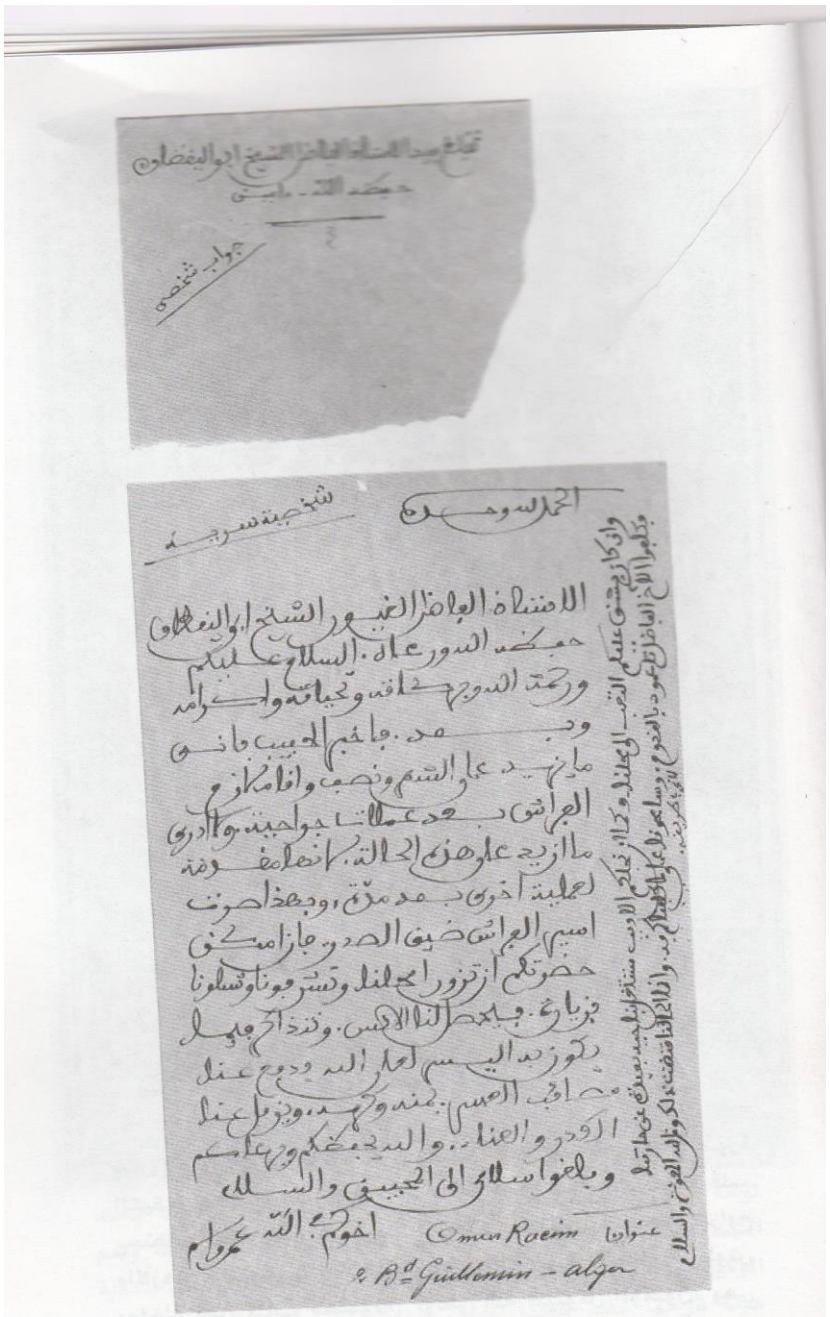

تصور هذه الرسالة المكتوبة بخط يد عمر راسم الحالة المادية المزرية بعد مرضه الذي أصيب به، ولأنها بدون ذكر التاريخ فأعتقد وحسب الوقائع أنها تعود إلى بداية الخمسينيات (والله أعلم). (م.ن)

177

2

[2]- الجناني ضيف ، المرجع السابق ، ص177.

عمر راسم رفقة الشاعر الكبير محمد العيد آل خليفة «حوالي 1935-1940».
(من أرشيف السيد سفينجة)

184

3

[3]- الجيلاني ضيف ، مالمرجع السابق ، ص184.

صورة لغلاف كتاب الجزائر لأحمد توفيق المدني بخط ورسم الفنان الخطاط «عمر راسم» بتاريخ غرّة محرم 1351هـ - 19 ماي 1931م وهو تاريخ طبع الكتاب، وفي أسفل اليسار توقيع الفنان، عنوان الكتاب بالخط الكوفي التذكاري وبقية الكتاب داخل العقد بالخط المغربي، تتضمن بينها الأهداف الكبرى لنضال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ويبدو أن منظر البحر يمثل الأميرالية. (طبع المطبعة العربية، الجزائر سنة 1931)

182

4

[4]- الجيلاني ضيف ، المرجع السابق ، ص182.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
كلمة شكر	/
الإهداء	/
المقدمة	ا-د
الفصل الاول : عمر راسم حياته	
تمهيد	6
المبحث الأول: نشأته ومساره التكويني.	7
المطلب الأول: مولده ونشأته.	7
المطلب الثاني: تكوينه و مساره الدراسي .	8
المطلب الثالث : شجاعته و سجنه.	9
المبحث الثاني : الأوضاع الداخلية و الخارجية المؤثرة في بناء فكر عمر راسم.	11
المطلب الأول: الأوضاع الإقتصادية و السياسية .	12/11
المطلب الثاني : تأثير الأوضاع الإجتماعية و الثقافية.	15/14
المطلب الثالث: تأثير الأوضاع الخارجية في بناء فكر عمر راسم.	17
خلاصة الفصل:	
الفصل الثاني: النشاطات الصحفية و الفنية لعمر راسم	
تمهيد	
المبحث الأول: النشاطات الصحفية لعمر راسم .	23
المطلب الأول: جريدة ذو الفقار.	24
المطلب الثاني: جريدة الجزائر.	27
المبحث الثاني: النشاطات الفنية لعمر راسم.	28
المطلب الأول: عمر راسم و الخط العربي.	28
المطلب الثاني: عمر راسم و الموسيقى الأندلسية.	30
خلاصة الفصل	

الفصل الثالث: موقف عمر راسم اتجاه بعض القضايا الإجتماعية	
تمهيد	36
المبحث الأول: رد فعل عمر راسم من الحركة الصهيونية والفساد الاخلاقي.	37
المطلب الأول: موقفه من الحركة الصهيونية.	37
المطلب الثاني: محاربته للفساد الأخلاقي.	39
المبحث الثاني: اهتمامه بالتعليم و وفاته.	40
المطلب الأول: اهتمامه بالتعليم.	40
المطلب الثاني: وفاته.	42
خلاصة الفصل	43
خاتمة	45
قائمة المصادر والمراجع	47
فهرس المحتويات	50

الملخص:

كان عمر راسم رحمه الله رائداً من الرواد الأوائل (1884-1959م)، في الإصلاح والوطنية محارباً للجهل والتخلف بإسم الدين الإسلامي، وخلاصة رأيه هو أنه لا خلاص للشرف من سيطرة الغرب إلا بإيمان الشرف بشخصيته واعتداده بنفسه، واعتماده على قواته حيث استمد كل ذلك من تاريخه الذهبي، ودافع عن اللغة العربية في الجزائر و الفرنس وخطره على مستقبل الوطن ومحاربة الآفات الخلقية ومقاومته للإستعمار وكشف مخططاته، والمحافظة على التراث الموسيقي الجزائري، وتطويره والعناية بالزخرفة والخط العربي والمنمنمات، وهذا ما جعله من رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر مطلع القرن العشرين.

ساهمت أفكاره في تحضير نفوس الجزائرين والإقبال على حركات الإصلاح الديني والإجتماعي والثقافي، والوقوف في وجه الإستعمار والدفاع عن قضايا وطنه متصدياً للحركة الصهيونية، داعياً للتعليم، محارباً للبدع والخرافات والتحدير من التغلغل الصهيوني وقام بالدعوة إلى الوحدة العربية، لكنه كان محل متابعة وتضيق بالإدارة الإستعمارية التي عطلت صحفه وقضى عدة سنوات أسوار سجونها.

***Résumé**:*

Omar Rasim, que Dieu lui fasse miséricorde, fut un pionnier dans les premiers pionniers (1884-1959), dans la réforme et le patriotisme, luttant contre l'ignorance et l'arriération au nom de la religion islamique, et la conclusion de son opinion est qu'il n'y a pas de salut de l'honneur de la domination de l'Occident sauf avec la croyance en l'honneur de sa personnalité et de son estime de soi, et de sa dépendance envers ses forces Là où tout cela dérivait de son histoire d'or, il a défendu la langue arabe en Algérie et en France et son danger pour l'avenir du pays, combattant les parasites moraux, résistant au colonialisme, révélant ses plans, préservant le patrimoine musical algérien, le développant et s'occupant de la décoration, de la calligraphie et des miniatures C'est ce qui fait de lui l'un des pionniers du mouvement réformateur en Algérie au début du XXe siècle.

Ses idées ont contribué à préparer l'âme des Algériens et la participation des mouvements de réforme religieuse, sociale et culturelle, et à faire face au colonialisme et à défendre les causes de sa patrie, en réponse au mouvement sioniste, appelant à l'éducation, luttant contre l'innovation, les mythes et la modération de la pénétration sioniste et il a appelé à l'unité arabe, Mais il a fait l'objet d'un suivi et d'un resserrement de l'administration coloniale, qui a suspendu ses journaux et passé de nombreuses années les murs de ses prisons.